حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط

٩

الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
رئيس مجلس الإدارة
أ.د. أيمن فؤاد سيد

الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج علي

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط

مجلة سنوية محكمة تعنى بالتاريخ الإسلامي والوسيط
يصدرها سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط
بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية

كل الحقوق محفوظة
للهيئة المصرية العامة للكتاب

الترقيم المطبوع
2735-3923

رقم الإيداع بدار الكتب
2013/18750

الترقيم الإلكتروني
2735-4725

موقع المجلة على بنك المعرفة:
hsew.journals.ekb.eg

٢٠٢١م

قطعة ٤ بلوك ٧ – المنطقة التاسعة – شارع د. رؤوف عباس- مدينة نصر – القاهرة
تليفون: ٠١١٢٧٣٨١٩١٢ – ٢٧٤٢٨٢٩١ – ٢٧٤٢٨٢٩٦ – فاكس ٢٤٧٢٨٢٩٨

Email: Seehist1945@yahoo.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ
التَّاريخِ الإسلاميَّ والوسيط

مَجلة عِلميَّة مُحَكَّمة

تُصْدرها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات : الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

eegyptian.historical2021@gmail.com

العدد التاسع

القاهرة

١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

رئيس مجلس الإدارة أ.د. أيمن فؤاد سيد

هيئة التحرير

رئيس التحرير: أ.د. حسين سيد عبدالله مراد

مديـر التحرير: د. محمد فوزي رحيل

أ.د. صلاح الدين علي عاشور

أ.د. عبير زكـريا سليـمان

أ.د. نهلـة أنيس مصطفى

د. عبدالناصر إبراهيم عبدالحكم

الهيئة الاستشارية الدولية

أ.د. إبراهيم عبدالمنعم سلامة (مصر)

أ.د. اسحق تاوضروس عبيد (مصر)

أ.د. حاتم عبدالرحمن الطحاوي (مصر)

أ.د. عبدالقادر بوباية (الجزائر)

أ.د. عبدالله بن سعيد الغامدي(السعودية)

أ.د. عبدالهادي ناصر العجمي (الكويت)

أ.د. عفاف سيد صبرة (مصر)

أ.د. فتحي عبدالفتاح أبو سيف (مصر)

ا.د. قاسم حسن السامرائي (العراق)

ا.د. لطفي بن ميلاد (تونس)

أ.د. محمد أحمد بديوي (مصر)

أ.د. محمد عيسي الحريري (مصر)

أ.د. محمد الناصر صديقي (تونس)

Prof. Dr. Albrecht Fuess (Germany)

Prof. Dr. Sylvie Denoix (France)

Prof. Dr. Tetsuya Ohtoshi (Japan)

المحرر الفني أ. ياسر السيد عبدالعزيز

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو السمنار أو الناشر

شروط النشر بالحولية

- ترحب الحولية بنشر البحوث العلمية المبتكرة في التاريخ الإسلامي والوسيط باللغتين العربية والإنجليزية.
- يفضل أن يكون البحث في حدود ٣٥ صفحة، بما في ذلك الحواشي اللازمة والملاحق وقائمة المصادر والمراجع.
- ترسل البحوث على موقع الحولية على بنك المعرفة ولن يلتفت إلى الأبحاث التي ترسل عن طريق آخر.
- يرفق الباحث مع البحث سيرة علمية مختصرة (CV)، وملخصًا للبحث باللغة العربية ولغة أجنبية في حدود (١٥٠) كلمة لكل منهما والكلمات المفتاحية.
- يقدم الباحث إقرارًا كتابيًّا بأن البحث لم يسبق نشره في أي مجلة علمية أو غيرها، وعدم الدفع به إلى النشر في جهات أخرى بعد موافقة الحولية على نشره.
- تقدم الخرائط والأشكال والرسوم البيانية بأصولها الصالحة للطباعة، وفي حال رغبة الباحث نشرها ملونة يلتزم بدفع تكاليفها.
- تتمتع الحولية بحق الملكية الفكرية للبحوث التي تنشرها، ويمكن للباحث إعادة نشر بحثه في جهة أخرى بعد مرور خمس سنوات على النشر بالحولية، وبموجب أذن كتابي من رئيس تحرير الحولية.

- لا تقبل الحولية البحوث التي سبق نشرها في أي مجلة علمية أو غيرها.
- توضع الهوامش مرتبة بطريقة متسلسلة في أسفل البحث.
- تخضع البحوث قبل النشر للتحكيم العلمي على نحو سري (معمي).
- يتم تقويم البحث وفقًا للعناصر التالية:
  - أن يكون البحث مبتكرًا، ومضمونه متكامل علميًّا.
  - وضوح المنهج، وملائمته لموضوع البحث.
  - رعاية الإخراج العلمي وتوزيع عناصر البحث.
  - سلامة اللغة ووضوح الصياغات والعبارات.
  - كفاءة المراجع وصحة التوثيق، وسلامة الهوامش، ودقة استخدام المصادر والمراجع.
- البحوث التي يقترح المحكمون إجراء تعديلات عليها تعاد إلى أصحابها لإجرائها، حتى وإن كانت طفيفة، وفي حال ما إذا رأت الحولية عدم نشر البحث، تخطر صاحبه بالاعتذار عن عدم النشر مع بيان الأسباب.

مُقَدِّمَة

يسعد أسرة تحرير حولية سمنار التاريخ الإسلامي والوسيط بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية، أن تقدم للمتخصصين فى الدراسات التاريخية وكافة القراء العدد التاسع من الحولية؛ والذي يصدر في جزئين، وقد شارك فى إعداده مجموعة من المؤرخين والباحثين على اختلاف أجيالهم من المتخصصين فى التاريخ الإسلامى والوسيط .

وكما تفتح الحولية صفحاتها لبحوث الأساتذة، فإنها تفتح صفحاتها أيضًا لشباب الباحثين المستوفين للشروط العلمية للنشر .

ويتضمن هذا العدد والذى يصدر فى مجلدين اثنى عشر بحثًا، عالجت موضوعات شتى فى التاريخ الإسلامى والوسيط منها خمسة أبحاث فى التاريخ الوسيط فى العصر البيزنطى.

وسبقه بحوث فى التاريخ الإسلامى؛ منها ثلاثة فى المشرق الإسلامى، ومثلها فى المغرب الإسلامى، والبحث السابع عالج موضوعًا مهمًّا فى التاريخ الإسلامى لأفريقيا جنوب الصحراء والتى تسمى السودان الغربي وتشمل غرب أفريقيا حاليًّا .

وتأمل هيئة تحرير الحولية بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية أن يحوز هذين المجلدين مع العدد التاسع على قبول المهتمين بالدراسات التاريخية . ونشكر كل الزملاء الذين شاركوا ببحوث جادة فى هذا العدد.

ونأمل أيضًا أن يوافينا الباحثون بأبحاثهم الجادة للنشر فى الأعداد القادمة للحولية حتى تستمر فى أداء رسالتها فى خدمة البحث العلمي والدراسات التاريخية.

واللهُ ثم الوطن العزيز من وراء القصد،،،

المشرف على السيمنار

ورئيس التحرير

أ.د. حسين سيد عبد الله مراد

مقرر السيمنار

ومدير التحرير

د. محمد فوزى رحيل

المحتويات

العدد التاسع - الجزء الأول

١- المقاومة الشعبية في القسطنطينية ضد الهون عـــام ٥٥٨- ٥٥٩م ١١-٧٢
أ.د. وديع فتحى عبد الله

٢- الوسيط الديني «الرهبان» بين حاجة المجتمع وتطلعات السلطة الإمبراطورية خلال العصر البيزنطي الباكر ..... ٧٣ - ١٥٦
د. مصطفى محمود محمد محمد

٣- الأميرة الكارولنجية دودا Dhuoda (٨٠٣-٨٤٤م.) دوقة سبتمانيا Septimania، من خلال مصنفها: "الكُتيب "*Liber Manualis* ..... ١٥٧ - ٢٠٠
د. عمر عبد المنعم إمام إبراهيم

٤- غارات النورمان على وادى نهر السين والسوم خلال حكم الملك شارل الأصلع (٨٥٦-٨٦٦م) ..... ٢٠١ - ٢٥٠
د. جمال فاروق الوكيل

٥- شيطان الإناث غيللو من منظور المعتقدات الشعبية في الإمبراطورية البيزنطية ..... ٢٥١ - ٢٩٨
د. محمد عبدالشافى محمد محمود المغربى

٦- المؤرخ محمد بن أحمد النسوي (ت: ٦٤٧هـ/١٢٤٩م) ورسالته: نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وزمان صدور الفتور ..... ٢٩٩ - ٤١٢
د. وائل أحمد إبراهيم طوبار

٧- الأسرة فى السودان الغربى عصر مملكتى مالى وصنغى (٦٣٦- ١٠٠٠هـ/١٢٣٦- ١٥٩١م) ..... ٤١٣ - ٤٦٤
د. إبراهيم رجب محمود عبدالمجيد

المحتويات

العدد التاسع - الجزء الثاني

٨- المخزن في معيار الونشريسي ٤٦٥-٤٨٠

أ.د. ناريمان عبد الكريم أحمد

٩- **التعليم فى عصرى الرستميين والأغالبة «دراسة مقارنة» (١٦٠-٢٩٦هـ /٧٧٧-٩٠٨م)** ..... ٤٨١ - ٥٢٨

د. محمد على محمد عبدالرحمن

١٠- أسواق سجستان وحواضرها في العصر الصفاري (٢٥٣-٢٩٨هـ/ ٨٦٧-٩١٠م) ..... ٥٢٩ - ٦٢٤

د. محمد زين العابدين محمد مريكب

١١- **المقابر الإسلامية ومجتمع إفريقية (من ق٢هـ/٨م إلى ق٥هـ/١١م)** ..... ٦٢٥ - ٧٨٢

د. كريمة عبدالرؤوف محمد رحيم الدومى

١٢- **حرفة الخياطة في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦هـ/٧٥٠-١٢٥٨م)** ..... ٧٨٣ - ٨٢٠

د. عبد الحميد جمال الفراني

حَوْلِيَّةُ سِمِنَارِ التَّارِيخِ الإِسْلَامِيِّ وَالْوَسِيط ٩ (٢٠٢١) جـ٢، ٤٨١ – ٥٢٨

التعليم فى عصرى الرستميين والأغالبة
(دراسة مقارنة)
(١٦٠- ٢٩٦هـ /٧٧٧- ٩٠٨م)

د. محمد علي محمد عبدالرحمن [١]

الملخص:

ازدهر التعليم فى دولتى الأغالبة والرستميين كجزء من ازدهار الحضارة الإسلامية فى بلاد المغرب آنذاك ، ولم يقتصر هذا الازدهار على تعليم النشء بل تعداه لما بعد ذلك من مراحل حتى التعليم العالى وما بعده ؛ مما أسهم فى خروج علماء فى كافة الفروع - وإن غلبت على الصورة العلوم الدينية - وازدها الحركة الفكرية والثقافية فى دولة الأغالبة السنية ودولة الرستميين الإباضية .

وقد تشابهت المواد التى تدرس فى الكتاتيب فى الدولتين ، وإن ظهر التوجه المذهبى عند الإباضية بشكلٍ واضح . وعلى الرغم من تشجيع الأمراء الأغالبة للتعليم فى دولتهم إلا أنهمً لم يكن لهم دور مباشر فى عملية التعليم كالأئمة الرستميين الذين جلسوا فى حلقات العلم معلمين ومرشدين . ولقد تمتعت المرأة بقسط وافر من التعليم فى الدولتين ، لكن الحرية فى التنقل

---

(١) دكتوراة فى التاريخ الإسلامى – كلية الآداب جامعة عين شمس.

وطلب العلم كانت أوفر حظاً بالنسبة للمرأة الإباضة فى المجتمع الرستمى عنها فى المجتمع الأغلبى المتأثر بالمذهب المالكى . ولقد ازدهرت الرحلة فى طلب العلم هنا وهناك سواء الرحلة الداخلية أو الرحلة للشرق ، ولقد أسهم أبناء الدولتين فى نقل علوم ومعارف الشرق إلى بلاد المغرب . وبذلك وجد تعليم نشط لدى الأغالبة والرستميين ، وإن كان التوجه المذهبى واضح هنا وهناك ، لكن لم يمنع هذا من وجود مشترك بينهما أتاح للجماهير المسلمة اختيار نمط التعليم المناسب لها ، وقد مثلت الدولتان صورة زاهية للحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى .

Abstract:

Education flourished in the Al-aghaliba and Al-Rustmyen states as part of the flourishing of Islamic civilization in the Maghreb at that time. This prosperity was not limited to the education of young people, but went beyond it from stages to higher education and beyond. This, contributed to the emergence of scholars in all branches –the image was dominated by religious sciences and the flourishing of the intellectual and cultural movement in the Sunni Al-aghaliba state and the Rustamyen Abadya state

The materials studied at Madrassa were similar in the two states , and surely the doctrinal Orientation seemed in a clear way at Abadya. Although the Al-aghaliba princes encouraged education in their country, they did not have a direct role in the education process like the Rustmyen_imams who sat in the science circles as teachers and guides. Women enjoyed an abundant amount of education in the two countries, but the freedom to move around and seek knowledge was more fortunate for Abadya women in the Rustami community than in the majority society affected by the Maliki school of thought.

The journey has flourished in seeking knowledge here and there, whether it is the domestic journey or the trip to the East, and the sons of the two countries have contributed to the transfer of the sciences and knowledge of the East to the countries of the Maghreb.

SO, active education was found among the Al-aghaliba and Al-Rustmyen.

And surely the doctrinal Orientation was clear here and there, but that didn't prevent from mutual presence between them and enabled the masses Muslim to select their appropriate style of education. The two states have represented bright picture of Islamic civilization at the middle ages.

تعود أهمية هذه الدراسة لعدة أسباب، منها: أنها تختص بأحد مظاهر الحضارة الإسلامية وثقافتها فى بلاد المغرب، ذلك الجناح الثانى للدولة الإسلامية، والذى استطاع خلال فترة قصيرة من دخوله فى الإسلام أن يقدم إسهامات حضارية مميزة، مستفيدًا من الوحدة الدينية التى مكن لها الفتح الإسلامى لبلاد المغرب (٢).

والموضوع – فى حد علمى – جديد، إذ يعرض للتعليم فى دولتين مسلمتين، تبنت إحداهما ما يمكن أن يطلق عليه المذهب السنى فى لونه المالكى بل والاعتزالى فى بعض الفترات، وهى الدولة الأغلبية (١٨٤- ٢٩٦هـ/٨٠٠- ٩٠٨م)، وتبنت الأخرى بل وقامت على المذهب الخارجى فى لونه الإباضى، وهى الدولة الرستمية (١٦٠- ٢٩٦هـ /٧٧٧- ٩٠٨م)، وهما مدرستان مختلفتان.

وتتمحور إشكالية الدراسة حول مدى تأثير التوجه المذهبى فى العملية التعليمية فى الدولتين، من حيث السياسة التعليمية، والمناهج وطرق التعلم ونواتجه، وهل وجد مشترك بينهما؟!

والدراسة تعتمد على منهج البحث التاريخى وأدواته من تحليل وتعليل واستنباط وقياس ومقارنة وهى ضرورة بحثية فى هذا الموضوع.

(2) BOUSQUET. G. –H, L´*Islam Maghrebin, Introduction `a L´Etude Generale de L´Islam*, Alger.p.41.

تمهيد: حول نشأة الدولتين

ولنبدأ الحديث بأولى الدولتين من حيث النشاة ألا وهى الدولة الرستمية (١٦٠- ٢٩٦هـ /٧٧٧- ٩٠٨م): نشأت الدولة الرستمية فى المغرب الأوسط، وتبعها منطقة جبل نفوسة جنوب طرابلس(٣)، وقد غلب على سكانها "البربر" السكان الأصليين للبلاد(٤) والذين تحمسوا للدعوة الإباضية وتبنوها، وهؤلاء كان منهم من أسلم فى فترة باكرة على يد الفاتحين الأوائل، ومنهم من أسلم على يد الدعاة الإباضية(٥).وقد ضم تركيبها السكانى -إلى جوار البربر- عرب، وفرس وغيرهم (٦). وقد نشأت هذه الإمارة الرستمية على يد عبد الرحمن بن رستم (١٦٠-١٦٨هـ/٧٧٧-٧٨٤م) أحد حملة العلم الإباضى للمغرب وهو فارسى الأصل(٧)، وقامت على المذهب الخارجى فى لونه الإباضى، واتصف أئمتها بالعدل والعلم، وقد

---

(٣) انظر: سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربى، الإسكندرية، منشأة المعارف،١٩٩٢م، ٢: ٢٩٥؛ ٣١٤.

(٤) الشماخى (أبو العباس أحمد بن سعيد المتوفى ٩٢٨هـ): كتاب السير، تحقيق/ محمد حسن، تونس. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٥م،٥٢.

(٥) انظر: محمد على عبد الرحمن: انتشار الإسلام والثقافة العربية فى المغرب، من الفتح حتى نهاية القرن الثانى للهجرة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، سنة ٢٠٠٤م،٢٢٦.

(٦) ابن الصغير المالكى: أخبار الأئمة الرستمين ، نشره وحققه موتلنسكى ، انظر:
Chronique Ď Ibn Saghir Sur Les Imams Rostemides De Tahert , Éd. Et. Trad. Par motylinswki , Dans Actes du 14 e Comgres Des Orientalistes, 3e Partie , Paris , 1908.p.13-
الشماخى، ٦٦؛ محمود إسماعيل: الخوارج فى بلاد المغرب، المغرب. دار الثقافة، ١٩٨٥م، ١٥٢.

(٧) الدرجينى (أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجينى المتوفى ٦٧٠هـ): طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق/ إبراهيم طلاى، الجزائر. مطبعة البعث، د.ت، ١:١٩ . ٢٠؛ الشماخى: المصدر السابق، ٢٤.

سقطت على يد الفاطميين عام ٢٩٦هـ[٨].

أما عن الدولة الأغلبية (١٨٤- ٢٩٦هـ/٨٠٠- ٩٠٨م) فقد قامت فى ولاية إفريقية[٩] على يد "إبراهيم بن الأغلب" (ت ١٩٦هـ /٨١٢م) الذى كان من أهل العلم ومن طلابه [١٠]، وقد قامت دولته على المذهب السنى. وولاية إفريقية دون باقى نواحى المغرب الشاسعة تمتعت بظروف لم تتح لغيرها، فالإسلام كان قد انتشر بين غالبية سكانها [١١]. كذلك فقد سكنها العرب وعمروا نواحيها [١٢]، وهى بذلك ورغم وجود السكان الأصليين من البربر بها، كانت ذات كثافة عربية ملحوظة [١٣] بفضل تدفق العرب عليها بشكل لافت عن غيرها من بلدان المغرب. وقد استمرت الدولة الأغلبية إلى أن سقطت على يد الفاطميين سنة ٢٩٦هـ [١٤].

والآن، وبعد هذه المقدمة العامة نستطيع أن نلج إلى صلب الموضوع من خلال أوجه المقارنة الآتية:

---

(٨) – سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ٢: ٥٩٥.

(٩) عن قيام دولة الأغالبة بإفريقية انظر:النويرى(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، المتوفى ٧٣٣هـ): نهاية الأرب، تحقيق/حسين نصار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م، ٢٤: ١٠٠.

(١٠) نفسه، ١٠٥ (وهو ينقل عن الرقيق القيروانى)، وقارن: الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى المتوفى ٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، بيروت- مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م، ٩:١٢٩.

(١١) انظر: محمد على عبد الرحمن: انتشار الإسلام،٢٤٨.

(12) MARCAIS, W., "Comment L′ Afrique Du Nord a ete Arabisee", *Annales De L´institut D, etudes Orientales*, IV, 1938, p. 11.

(13)BRUNSCHVIG. R, *La Tunisie Dans Le Haut Moyen Age Sa Place Dans L´Histoire*, Le Caire, 1948, p 6.

(١٤) سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ٢: ٥٨٠.

أولًا- السياسة التعليمية:

أما عن سياسة الدولة الرستمية التعليمية فيمكن استنباطها من خلال ركام الروايات التى لم تفصح عن هذا الجانب بشكل مباشر، نتيجة لطبيعة المذهب الذى اعتمد على التستر والكتمان. وعليه وبناء على عملية استنباط محضة نستطيع أن نجمل هذه السياسة فى النقاط الأتية:

١- فى البداية نتساءل: هل كانت هناك سياسة تعليمية للأئمة الرستميين طبقوها فى إمارتهم سواء فى المغرب الأوسط أو فى منطقة جبل نفوسة؟ أم أن مسألة التعليم فى الدولة الرستمية كانت تسير بشكل تلقائى دون تخطيط أو تدبير من الأئمة والقائمين على الأمر فى ربوع الدولة الرستمية؟!

لا شك أن العشوائية وعدم التخطيط قد تكون سمة الكثير من الدول التى قامت وسقطت لكن هذا لا ينطبق بحال على الإباضية الذين عُرفوا وتميزوا بالتخطيط الدقيق فى كافة مناحى حياتهم وقد رأينا كيف تعلم حملة العلم الإباضى للمغرب على يد أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة(١٥) فى المشرق فى سرية مستفدين من نظام تعليمى صارم، أثمر عن انتشار المذهب الإباضى فى المغرب وإقامة دولة له(١٦)، وعليه فلا

---

(١٥) أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة كبير تلامذة جابر – جابر بن زيد الأزدى من المنظمين الأوائل للدعوة الإباضية – ومن شيوخ الإباضية الكبار وكان شيخ الدعوة بالبصرة وهو المخطط لنشر المذهب الإباضى بالمغرب، وتلقى العلم على يديه العديد من أبناء المغرب وعادوا لبلادهم معلمين ومفقهين.
انظر: الدرجينى، جـ٢، ٢٣٨؛ محمود إسماعيل: الخوارج، ٥٣، ٥٤؛ محمود إسماعيل: الحركات السرية فى الإسلام ، القاهرة ، ١٩٩٧م. ٢٤، ٢٥.

١٦))أبو زكرياء(يحيى بن أبى بكر): كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبى زكرياء، حققه / إسماعيل العربى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، د. ت، ٥٤ – ٥٧؛ الشماخى: المصدر السابق، ٢٤ – ٢٥.

شك أن الدولة الرستمية كان لها سياسة تعليمية مخططة ومنظمة.

٢- أما عن معالم هذه السياسة فيبدو أنها تمحورت حول نشر المذهب الإباضى، المذهب الرسمى للدولة الرستمية، فالأعداء المذهبيون محيطون بالدولة الناشئة من كل مكان، فكان لزامًا على أئمة الدولة الرستمية تحصين سكانها، وذلك من خلال الاهتمام بمنهج تعليمى شامل يبث المذهب فى قلوب سكان الإمامة الرستمية، ويحصن هؤلاء من الأفكار الغير مرغوب فيها سواء للمعتزلة أو غيرهم من أصحاب الفرق. ونحن نعلم أن الإباضية كغيرهم من المذاهب نشطوا ببلاد المغرب؛ لنشر المذهب حيث اعتمدوا فى نشره فى الأساس على التعليم(١٧)، ومن ثم كانت استراتيجية الدولة الرستمية تقوم على نشر المذهب الإباضى عن طريق الإهتمام بالتعليم.

٣- وقد تعددت الأسباب التى دعت الرستميين للإهتمام بالتعليم ففضلًا عن رغبتهم الملحة فى نشر المذهب، فإن المجتمع الإباضى فى المغرب منذ نشأته الأولى قام على التعليم وقدم الإباضية صورًا نادرة فى الحرص على التعليم والتعلم، فناشرو بذور المذهب الخارجى بلونه الإباضى فى المغرب هم فى الأساس طلبة علم(١٨)، وعليه فلقد كان اهتمام أئمة الرستميين بالتعليم والتعلم جزءًا من تركيبة المجتمع الإباضى الذى يحرص على تكوين "طلبة العلم" الذين يمثلون فى نظره أعمدة الدولة الإباضية فى المغرب وحفظة الدين. ونستطيع أن نقول

---

(١٧) سامية مقرى: التعليم عند الإباضية فى بلاد المغرب، من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة (٢٩٦-٤٠٩هـ/٩٠٩-١٠١٨م) رسالة ماجستير فى التاريخ الوسيط، جامعة منتورى، قسنطينة، الجزائر (٢٠٠٥م/٢٠٠٦م)، ١٦.

(١٨) أبو زكرياء يحيى بن أبى بكر: المصدر السابق، ٥٤ – ٥٧؛ الشماخى: المصدر السابق، ٢٣ – ٢٥.

إن العقل الجمعى للإباضية كان يدرك أن التعليم هو الركيزة الأساسية التى تقوم عليها السلطة؛ لذلك كان من شروط الإمام عندهم العلم، وعلى ذلك فإن الاهتمام بالتعليم لدى الإباضية أخذ شكلًا رسميًا وشعبيًا؛ لذلك فلا غرو أن يزدهر التعليم لديهم، ويكون من أهم المقومات التى حافظت به الإباضية على كيانها إلى الآن(١٩).

ولا يعنى ما تقدم أن السياسة التعليمية لدى الرستميين قامت على أسس برجماتية، فالمجتمع الإباضى معروف بالمثالية وبالتالى فلا يُنكر أن من ضمن الدوافع الرئيسية للاهتمام بالتعليم لدى الإباضية هو نشر الفضيلة، وتربية النشء تربية صحيحة، ونشر الثقافة الإسلامية بين سكان البلاد خاصة من أسلم منهم حديثًا.

٤ – لكل ما تقدم وجدنا حرصًا شديدًا من الأئمة الرستميين على مسألة التعليم والتعلم فمؤسس الدولة الرستمية "عبد الرحمن بن رستم" (ت ١٦٨هـ / ٧٨٤م) له رحلة طويلة فى طلب العلم وهو أحد حملة العلم الإباضى للمغرب(٢٠)، والغالب أنه اهتم بالعلم وتدريسه وكانت له حلقات علمية مميزة،خاصة وأن دولته كانت بمثابة "مملكة من رجال الدين خاضعة لنظم دينية وأخلاقية صارمة"(٢١)، مما يحتم الاهتمام بالنواحى التربوية والتعليمية. وقد حرص "عبد الرحمن" على تعليم أبنائه وإكسابهم الثقافة الرفيعة؛ فكانوا علماء واصلوا نهج أبيهم فى التعليم والتعلم، فالإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم إبان إمامته (١٦٨ – ١٩٨هـ / ٧٨٤–

(١٩) سامية مقرى: المرجع السابق، ١٦ – ١٧.

(٢٠) الدرجينى: المصدر السابق، ١٩:١ . ٢٠؛ الشماخى: المصدر السابق، ٢٤.

(٢١) انظر: جوليان: تاريخ أفريقيا، ترجمة/طلعت عوضى،القاهرة . دار نهضة مصر، ١٩٦٨م، ٧١. وبالأحرى يمكن أن يطلق على الحكومة التي قامت في تاهرت أنها " حكومة دينية " نتجت عن التنظيم السياسي الديني الخارجي. انظر:

Bousquet , L' islam Maghrebin , p. 45.

٨١٤م) كان حريصًا على إقامة حلقات العلم، بل كان يجلس بنفسه معلمًا ومفقهًا[٢٢]، وكان أيضًا حريصًا على جلب كتب العلم من المشرق ويرسل المال الوفير في طلبها [٢٣]، وقد اهتم ببناء المساجد في القرى والمدن المختلفة [٢٤] وكان له تآليف موطئة للبربر[٢٥]، وقد زار جبل نفوسة ومكث فيه سبع سنوات اهتم خلالها بتعليم العوام من البربر مسائل الصلاة[٢٦]، وكانت له بالجبل مجالسه العلمية التى كان يحضرها كبار العلماء والمشايخ فضلًا عن جمهرة كبيرة من أهل الجبل بربرًا وعربًا وفرسًا ، وكانت تُعرض المسائل عليه وعلى كبار العلماء ويدور النقاش والحوار في مسائل عامة وخاصة[٢٧]. وواضح من كثرة المساجد التى تنسب لعبد الوهاب بالجبل[٢٨] أن دوره التعليمى كان كبيرًا، وأنه تنقل بين أكثر من موضع للقيام بدوره.

والإمام أفلح بن عبد الوهاب كانت له مجالس تعليمية فى غير فن، وقد بلغ فى علم الغبار والنجامة مبلغًا عظيمًا[٢٩]. وأبو اليقظان محمد بن أفلح (تولى من ٢٨١:٢٦٠ هـ) " كان بابه مركزًا يتجمع حوله طلبة العلم، وبلغ فى العلم مبلغًا عظيمًا، وألف كتبًا كثيرة[٣٠].

هذا عن السياسة التعليمية للرستميين فماذا عن الأغالبة؟ لم تكن

(٢٢) انظر: الدرجينى، ١: ٦٦-٦٧؛ الشماخى، ٨٥،٥٠.

(٢٣) أبو زكرياء: كتاب سير الأئمة وأخبارهم، ٩٩، ١٠٠؛ الشماخى ، ٧٠.

(٢٤) نفسه ، ٦٦-٦٧.

(٢٥) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين ، ١٧.

(٢٦) الدرجينى ،١،: ٦٦ ، ٦٧؛ الشماخى ، ٦٧.

(٢٧) انظر عن هذه المجالس: الشماخى ، ٥٠ ، ٨٤- ٨٥.

(٢٨) انظر: نفس المصدر ، ٦٦ ، ٦٧.

(٢٩) نفسه، ١٠٧ (والغبار: هو جدول الحساب، وحروف الغبار، حروف الحساب. أنظر:أحمد رضا: معجم متن اللغة، ٢٦٢:٤).

(٣٠) الشماخى، ١٤٣.

سياسة الأغالبة التعليمية سياسة تخطيط ومتابعة بل كانت سياسة تشجيع واستفادة من التطور الطبيعى لازدهار عملية التعليم والتعلم التى بدأت فى ولاية إفريقية منذ تأسيس القيروان، ومرورًا بالازدهار الثقافى والتعليمى الذى شهده عصر الولاة خاصة فى ولاية إفريقية.

وهذا يعنى أن ازدهار التعليم والاهتمام به فى الدولة الأغلبية لم يكن بتدبير من الأمراء الأغالبة فى الدرجة الأولى ولكن عاد لعدة عوامل نجملها فيما يلى:

١- قيام دولة الأغالبة فى الأساس فى ولاية إفريقية(٣١)، وولاية إفريقية دون باقى نواحى المغرب الشاسعة تمتعت بظروف لم تتوفر لغيرها، فالإسلام انتشر بين غالبية سكان الولاية وذلك بفضل الجهود المكثفة التى بذلت خلال مرحلة الفتح وعصر الولاة (٣٢). فكان من الطبيعى مع انتشار الإسلام أن تزدهر عملية التعليم والتعلم.

٢- كذلك فولاية إفريقية كانت مستقر العرب الأول فى بلاد المغرب، وتدفق عليها العرب تدفقًا إبان مرحلة الفتح وعصر الولاة، وافترشوا مدنها ولونوها بطابع عربي ميزها عن غيرها(٣٣)، فقد كانت ولاية إفريقية على الرغم من وجود البربر بها ممثلة للعروبة الخالصة(٣٤) بفضل تدفق العرب عليها وسكناهم بها بكثافة فاقت غيرها من بلاد المغرب(٣٥)،

---

(٣١) النويرى: نهاية الأرب، ٢٤: ١٠٠.

(٣٢) انظر: محمد على عبد الرحمن: انتشار الإسلام،٢٤٨.

(33)MARCAIS, W., "Comment L′ Afrique Du Nord a ete Arabisee", *Annales De L´institut D, etudes Orientales*, IV, 1938, p. 11.

(34)BRUNSCHVIG. R, *La Tunisie Dans Le Haut Moyen Age Sa Place Dans L´Histoire*, Le Caire, 1948, p 6.

(٣٥) وليس أدل على أثر التدفق العربى نحو ولاية إفريقية من أن اللغة العربية فى تونس مثلًا عالية الشأن، فاللهجة التونسية العامية من أقرب اللهجات إلى اللغة العربية الفصحى..
انظر: أنور الرفاعى وأخرون: المغرب العربى جغرافيًا، دمشق، ١٩٤٩م، ٣٦.

وكان العرب آنذاك فى مرحلة توهج معرفى وثقافى؛ فأسهم هذا فى ازدهار الثقافة العربية فى ولاية إفريقية، ومن ثم ازدهر التعليم.

٣- أسهمت أيضًا الرحلة فى طلب العلم إبان عصر الولاة فى ازدهار التعليم لدى الأغالبة، فالملاحظ أن الرحلات العديدة التى توجهت للشرق خلال عصر الولاة كان أغلبها من قبل سكان ولاية إفريقية لا سيما مدنها مثل القيروان وتونس وغيرهما(٣٦). فأسهم هؤلاء المرتحلون فى إثراء عملية التعليم والتعلم والتشجيع عليهما.

٤- كذلك فقد شهدت ولاية إفريقية إبان عصر الولاة ازدهارًا ثقافيًا مميزًا سواء فى علوم الدين أو اللغة والشعر والمناظرات ورسائل الوعظ والزهد.. إلخ (٣٧)، وجاءت دولة الأغالبة واستفادت من كل هذا وبنت عليه، فازدهر التعليم وزهى فى عهدها؛ لذلك فحينما نتحدث عن التعليم فى الدولة الأغلبية، فإنما نتحدث عن دولة توفرت لها من المقومات – فى هذه الناحية – ما لم يتوفر لغيرها من الدول المستقلة التى عاصرتها فى الشمال الإفريقى، ويكفيها مثلًا وجود القيروان بعلمائها وصالحيها ومعلميها وما ازدهر بها من علوم.

إذن: ازدهر التعليم فى الدولة الإغلبية نتيجة تطور ثقافى سابق للأغالبة، ولم يكن بتدبير أو تخطيط مسبق منهم، لكن هل يعنى هذا عدم وجود رؤية لاستراتيجية تعليمية فى الدولة الأغلبية؟ والإجابة القطعية لا، فقد وجدت سياسة تعليمية شعبية تقوم على نشر المذهب السنى فى لونه المالكى فى كثير من الأحيان، ولونه الحنفى والاعتزالى فى بعض الأحيان،

---

(٣٦) انظر: محمد على عبد الرحمن: الرحلة فى طلب العلم، وأثرها فى المجتمع المغربى، رسالة دكتوراة، كلية الأداب، جامعة عين شمس، سنة ٢٠١١م، ٢٤٩.

(٣٧) انظر: محمد على عبد الرحمن: انتشار الإسلام والثقافة العربية فى المغرب، ٣١١:٢٧٩.

ذلك أن المذهب المالكى كان قد انتشر فى ولاية إفريقية كما تنتشر النار فى الهشم، وقصد طلاب العلم المغاربة الإمام مالك وتلقوا علية الموطأ(٣٨)، ومن لم يدرك مالك أخذ عن تلاميذه(٣٩)، وعاد هؤلاء لولاية إفريقية فأصبحوا هم العلماء وأهل الرأى فى المجتمع، وعلى هؤلاء قامت العملية التعليمية، ومن ثم عملوا على نشر المذهب المالكى والتمكين له. ومنهم من درس على تلامذة الإمام أبى حنيفة كأسد بن الفرات (ت ٢١٣ هـ)(٤٠) الذى عد شيخ الأحناف – رغم تميزه فى المذهب المالكى – فعمل هؤلاء من خلال التعليم على نشر المذهب السنى سواء فى لونه المالكى فى الأعم أو لونه الحنفى على استحياء. ويضاف لهؤلاء أن المعتزلة كان لهم وجود فى الدولة الأغلبية وكانت لهم حلق فى المسجد الجامع فى القيروان(٤١)، فمن الطبيعى أيضًا أن يعملوا على نشر مذهبهم من خلال عملية التعليم والتعلم.

وكما اهتم الأئمة الرستميون بتعليم أبنائهم وخلفائهم من بعدهم أثر

---

(٣٨) أبو العرب " محمد بن أحمد بن تميم القيروانى " (ت ٣٣٣هـ): طبقات علماء إفريقية وتونس ، تحقيق ، على الشابى ، نعيم حسن اليانى ، تونس ١٩٦٨ م، ٢٢٠؛ المالكى(أبو بكر عبد الله بن أبى عبد الله المالكى، تُوفى حوالى منتصف القرن الخامس الهجرى): رياض النفوس، تحقيق / حُسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥١م،١: ١٥٨.، ١٤٥، ٢٠٦.

٣٩))القاضى عياض(عياض بن موسى بن عياض السبتى المتوفى ٥٤٤هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، الرباط – طبعة وزارة الأوقاف، د.ت، ٤: ٤٦- ٤٧؛ الدباغ (أبو زيد ، عبد الرحمن بن محمد الأنصارى الأسيدى المتوفى ٦٩٦هـ): معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان، تحقيق / إبراهيم شبوح، القاهرة- مكتبة الخانجى، ١٩٦٨م ، ٢: ٧٨.

٤٠))المالكى ،.١: ١٧٣؛ الدباغ ، ٢: ٤- ٥؛ القاضى عياض: ترتيب المدارك ، ٣: ٢٩١.

٤١))المدارك، ٤: ٦٠، وقارن: المالكى، ١: ٢٧٦، الدباغ، ٢: ٨٧، ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة ، القاهرة – مكتبة مدبولى ، ١٩٨٨م، ٥٨.

عن بعض الأمراء الأغالبة الاهتمام بتربية وتعليم أبنائه فهذا إبراهيم بن الأغلب مؤسس الدولة الأغلبية كان يهتم بابنه زيادة الله اهتمامًا خاصًا ويصحبه أهل العلم (٤٢). وقد أثر عن غير إبراهيم من أمراء الأغالبة اهتمامهم بتربية وتعليم أبنائهم(٤٣).

وتأسيسًا على ما تقدم نستطيع القول: أن السياسة التعليمية فى الدولة الأغلبية كانت سياسة شعبية أكثر منها حكومية، وأنها تمحورت حول نشر المذهب السنى وثقافته.

ولقد غلب على سياسة الطرفين التسامح الدينى إلى حدٍ كبير، فلقد تميز الأغالبة – بشكل عام – بالتسامح الدينى فإلى جوار المذهب المالكى وجد المذهب الحنفى ووجد الاعتزال، ووجدت حلقات العلم لأصحاب الفرق فى المسجد الجامع بالقيروان، وهذه الحلق لم تمنع من المسجد إلا فى فترة ولاية سحنون للقضاء(٤٤). وفى الناحية الأخرى وعلى الرغم من أن المجتمع الرستمى كان مجتمعًا إباضيًا صرفًا إلا أنه وجد به المعتزلة، وإن كان وجود غير مرغوب فيه حيث قامت بينهم وبين الإباضية الحروب والمناظرات(٤٥)،

(٤٢) ابن الآبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى المتوفى ٦٥٨ هـ): الحُلة السيراء، تحقيق: حُسين مؤنس ، القاهرة – الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣م، ١: ١٦٣. وقارن: ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن الخطيب السلمانى المتوفى ٩٤٠ هـ): أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام ، تحقيق ، أحمد مختار العبادى ، ومحمد إبراهيم الكتانى ، وتم نشر هذا الجزء تحت عنوان: تاريخ المغرب في العصر الوسيط ، الدار البيضاء- دار الكتاب، ١٩٦٤م، ٣: ١٦.

(٤٣)الخشنى (أبو عبد الله محمد بن الخطيب بن حارث بن أسد الخشنى المتوفى ٣٦١هـ): علماء إفريقية، تحقيق/ السيد عزت العطار الحسينى، القاهرة – مكتبة الخانجى،١٩٩٤م، ١٨٠.

(٤٤) المدارك، ٤: ٦٠، وقارن: المالكى، ١: ٢٧٦، الدباغ، ٢: ٨٧، ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة ، القاهرة – مكتبة مدبولى ، ١٩٨٨م، ٥٨.

(٤٥) انظر: الشماخى، ٦١: ٦٦.

ووجد بعض أهل السنة مثل المؤرخ ابن الصغير المالكى والذى درس اللغة والنحو على علماء الإباضية(٤٦)، وبذلك وجد نوعٌ من أنواع التسامح فى المجتمع الإباضى، ولا ينبغى أن ننسى أن الكثير من عرب إفريقية، والأندلس، وبعض أمصار الشرق قد وفد على تاهرت بل وأقام بها(٤٧)، وهؤلاء لا يوجد ما يؤكد على أنهم كانوا إباضية ومن ثم فمن الراجح ونتيجة لقرب المذهب الإباضى للمذهب السنى أن المجتمع الرستمى رغم غلبة الإباضية عليه إلا أنه ضم مسلمين من كافة الاتجاهات.

خلاصة القول:

كان للرستميين سياسة تعليمية واضحة، وشارك الأئمة فى عملية التعليم والتعلم بأنفسهم، وكانوا فاعلين فى هذا الصدد. أما الأغالبة فكان دورهم تشجيعى، ولم يتدخلوا فى توجيه التعليم إلا قليلًا، واكتفوا برعاية السياسة التعليمية التى تبناها علماء السنة، واستفادوا من الازدهار العلمى فى ولاية إفريقية الذى بدأ قبلهم، وواصل النمو والازدهار فى عهدهم.

ثانيًا- مراحل التعلم ونصيب البنات منه:

تشابهت مراحل التعليم فى الدولتين إلى حدٍ كبير ويرجع هذا – فى اعتقادى – للتطور الطبيعى للتعليم فى الدولة الإسلامية بجناحيها الشرقى والغربى.

أما عن تعليم النشء فى الدولة الرستمية، فرغم وجوده وتشابهه إلى حدٍ كبير مع نظيره فى الدولة الأغلبية مع استثناء الجانب المذهبى إلا أن المعلومات المتوفرة عنه قليلة بشكل عام، وبالمقارنة بالدولة الأغلبية بشكل

(٤٦) أخبار الأئمة الرستميين، ٤٦.

(٤٧) نفسه، ١٢-١٣؛ الشماخى: المصدر السابق، ٦٦.

خاص. لكن نستطيع القول تأسيسًا على كثرة العلماء ووفرتهم وازدهار الحركة الثقافية وتوهجها فى المجتمع الرستمى أنه وجد تعليم نشط للنشء – وإن قلت المادة المتوفرة فى هذا الصدد –، ويمكننا تتبع تعليم النشء على النحو التالى:

مثَّل الكُتاب المكان الرئيسى لتعليم النشء لدى الرستميين، فقد عرفت بلاد المغرب وجود الكتاتيب منذ فترة باكرة، تعود للنصف الثانى للقرن الأول للهجرة(٤٨)، فالغالب أن الكتاتيب انتشرت فى الدولة الرستمية بشكل تلقائى كباقى نواحى المغرب، كذلك فعبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية عاش فترة ليست قليلة فى القيروان(٤٩)؛ فلا بد أنه تأثر بما شاهد فيها من كثرة الكتاتيب والنشاط العلمى بها، ونقل هذا لدولته الناشئة (١٦٠هـ). كذلك تدفق الكثير من العرب من إفريقية وغيرها على الدولة الرستمية(٥٠)؛ فادخلوا الكتاتيب. وقد عرف الإباضية وجود الكتاتيب أو المدارس الابتدائية لتعليم القرآن منذ فترة باكرة، وكان من أشهرها المدرسة التى أقامها "عمر بن يمكتن اللواتى" (ت١٤٤هـ/٧٦٣م) بجبل نفوسة بقرية ايفاطمان فى النصف الأول من القرن الثانى للهجرة، وكان هذا العالم الإباضى أول من علم القرآن لإخوانه البربر بالجبل(٥١).

وإلى جوار الكتاتيب أو المدارس الأولية التى انتشرت فى الدولة الرستمية سواء بشكل تطوعى أو بتوجيه من الأئمة، لا شك أن المساجد

---

(٤٨) انظر: الدباغ: معالم الإيمان، ١: ١٥١.

(٤٩) انظر: أبو زكرياء: كتاب سير الأئمة، ٧١؛ لدرجينى، ١: ٣١؛ الشماخى، ٣١؛ النويرى، ٢٤: ٧٣.

(٥٠) انظر: ابن الصغير: المصدر السابق، ١٢ / ١٣.؛ الشماخى، ٦٦.

(٥١) نفسه، ٤٨ (أول من علّم القرآن بجبل نفوسة: عمر بن يمكتن، علمه بمنزل يقال له، ايفاطمان).

المنتشرة فى النواحى وبين القرى فى المناطق الصحراوية أو الجبلية على كثرتها(٥٢) شاركت ساحتها أو بعض الغرف المخصصة بها لتعليم النشء على يد أئمتها أو الدعاة الإباضية بها.

وإلى جوار الكتاتيب والمساجد وجد تعليم ابتدائى نشط فى بيوت الأئمة، فبيت الرستميين بيت علم وفقه، وأغلب ولد رستم أجادوا فنون العلم دينية ودنيوية مثل الفلك والحساب وتفوقوا فيها(٥٣)، وهذا يدل على تعليم نشط لدى الرستميين بالنسبة لأبنائهم؛ إذ لا بد أن الأئمة خصصوا المعلمين والمؤدبين -على تنوع فنونهم- لتعليم أبنائهم أئمة المستقبل.

ولم يكن تعليم النشء مقتصرًا على البنين، فلقد اهتم الرستميون بتعليم البنات أيضًا، فعلى الرغم من عدم توفر نصوص بما يخص تعليمهن الأول إلا أن وجود عالمات مسلمات كثيرات فى المجتمع الإباضى يشى بتعليم ابتدائى نشط حتى عند البنات(٥٤)، فالغالب أن البنات التحقن بالكتاتيب، وأن آباءهن حرصوا على تعليمهن سواء فى الكتاتيب العامة، أو تلك التى ربما أقامتها بعض المعلمات لتعليم البنات خصيصًا، أو من خلال جلب مُعلمات خاصات للبيوت، وما سوف نراه من حال المرأة المسلمة فى المجتمع الرستمى، وحرصهن على التعليم والتعلم ومزاحمة الرجال فى هذا المجال يؤكد على ضرورة اهتمامهن بتعليم بنات جنسهن الصغيرات.

ونفس الاهتمام وازدهار تعليم النشء نجده وبصورة ضافية فى الدولة

---

(٥٢) نفسه، ص ٦٦ – ٦٧.

(٥٣) نفسه، ٧٠: ٧١ (وبيت الرستميين احتوى على علوم كثيرة من فقه واعراب ولغة وفصاحة وعلم نجوم، وعن بعضهم أنه قال: معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم أين بات القمر..).

(٥٤) نلاحظ من خلال كُتب السير وجود وفرة فى العالمات المسلمات فى المجتمع الإباضى، انظر مثلًا الشماخى، ٩٤؛ ١٢٦؛ ١٣٧: ١٣٨.

الأغلبية فقد وجد اهتمام شعبى ورسمى بتعليم النشء، أما عن الاهتمام الشعبى فقد كان غالبًا إذ يبدو من روح المصادر أن الاهتمام بالتعليم كان شعبيًا أولًا، وتناسب هذا مع توهج الحياة الثقافية والعلمية فى الدولة الإسلامية آنذاك بشكل عام، وإقبال المسلمين الكبير على التعليم والتعلم، ونلحظ هذا فى الدولة الأغلبية من كثرة الكتاتيب التى تواترت بها الأخبار(٥٥)، ومن اهتمام الآباء بتوجيه المعلمين الذين يعلمون أبناءهم، فهذا الإمام سحنون (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م) يقول لمعلم ابنه محمد:" لا تؤدبه إلا بالمدح، ولطفِ الكلام؛ ليس هو ممن يؤدب بالضرب والتعنيف.."(٥٦)، ويُلمح أيضًا من أن بعض أهل الخير كان يهتم بدعم الكتاتيب(٥٧).

أما عن الاهتمام الرسمى فخلفية إبراهيم بن الأغلب مؤسس الدولة الأغلبية والتى ألمحنا إليها آنفا تشى بأنه لا بد وأنه وجه اهتمامًا خاصًا بالتعليم، خاصة مع وجود أعداء مذهبيين محيطين بالدولة الأغلبية، ويرى البعض(٥٨) أن الاهتمام بالتعليم كان من الواجبات الصارمة لأى حكومة إسلامية لتحصين الإيمان عند المؤمنين، وهداية غير المؤمنين، وتشجيع انتشار المعرفة النافعة لكل من يعمل خدمة للإسلام، ولعل انتشار الكتاتيب، وازدهار الحياة العلمية والثقافية فى عهد الأغالبة يدل على عناية الدولة بالتعليم(٥٩)، كذلك فهناك نصوص تشير إلى أن الأمراء من بنى الأغلب كانوا يزورون المساجد ودور العُباد والعلماء والكتاتيب والمحارس، ويوزعزن

---

(٥٥) انظر مثلًا: الدباغ: معالم الإيمان، ٢: ١٣٤. إذ يذكر عن وفاة محمد بن سحنون عام ٢٥٦هـ ما نصه " كانت وفاته بالساحل، وأتى به إلى القيروان، وخرج الناس لدفنه، وغلقت الكتاتيب والحوانيت من أجله ".

(٥٦) المالكى: رياض النفوس، ١: ٣٤٥؛ الدباغ، معالم الإيمان، ٢: ١٢٤.

(٥٧) انظر: نفسه، ٢: ٣٤٢.

(58)MARCAIS, W., Comment L' Afrique Du Nord a ete Arabisee,p.14

(٥٩) عن إزدهار الحياة الثقافية لدى الأغالبة انظر: محمد على عبد الرحمن: انتشار الإسلام والثقافة العربية، ٣٢٨: ٣٣٩.

الأموال والعطايا الجسيمة(٦٠).

ونتيجة لهذا الاهتمام والتشجيع، تعددت أمكنة تعليم النشء فى الدولة الأغلبية، وجاءت على رأسها "الكتاتيب" والتى انتشرت بشكل ملحوظ فى نواحى الدولة الأغلبية على نحو ما تقدم آنفًا، وسوف نعرض لدورها مفصلًا فى مبحث قادم.

وإلى جوار الكتاتيب، عُرف تعليم الصبيان فى المساجد، فعلى الرغم أن الإمام مالك (ت١٧٩هـ/٧٩٥م) قال بعدم جواز هذا؛ لأنهم لا يتحفظون من النجاسة ولم ينصب المسجد للتعلم(٦١)، وعلى الرغم أن الإمام محمد بن سحنون كان يرى أنه على المعلم كراء البيت للتعلم، أى استئجاره على نفقته الخاصة(٦٢)، إلا أن الواقع يؤكد أن بعض المعلمين – إن لم يكن الكثير – كان يستعمل المسجد بغرض تعليم النشء" ومن هنا سقطت شهادة أكثر المعلمين للصبيان" كما يقول محمد بن سحنون(٦٣)، ويبدو أن بعض المعلمين كانوا لا يجدون بدًا من ذلك فى النواحى والقرى النائية أو الفقيرة أو المناطق قليلة الكثافة السكانية، فكانوا يستغلون المساجد لتعليم النشء فى غير أوقات الصلاة.

وإلى جانب هذا التعليم الشعبى، وجد تعليم ابتدائى فى قصور الأمراء، ويبدو أن ذلك كان ضرورة لتعليم أبناء الأمراء وحاشيتهم،

---

(٦٠) انظر: المالكى، رياض النفوس، ١: ٣١٨؛ الدباغ، معالم الإيمان، ٢: ١١٦ – ١١٧. ولفظة " الكتاتيب " ليست موجودة فى النسخ المطبوعة من المالكى أو الدباغ، لكن الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب، أثبتها فى النص اعتمادًا على مخطوطة اعتمد عليها للمالكى وذلك عند تحقيقه لكتاب آداب المعلمين، ٣٧، حاشية (١).

(٦١) انظر: محمد بن سحنون: آداب المعلمين، تحقيق / حسن حسنى عبد الوهاب، تونس-١٩٧٢م، ١١٤.

(٦٢) انظر: نفسه، حاشية رقم (٦٨).

(٦٣) نفسه.

والنصوص تسعفنا فى هذا الصدد، فهى تشير إلى وجود معلمين للأطفال بنين وبنات فى قصور الأمراء(٦٤).

والآن لم يتبقَ فى تعليم النشء لدى الأغالبة سوى مسألة تعليم البنات، فهل شملت الكتاتيب البنات مع البنين، وكيف كان يتم تعليم البنات، وهل تعرضن للإهمال فى مجال التعليم؟

عند الإجابة على هذه التساؤلات نصطدم بنص محمد بن سحنون فى رسالته آداب المعلمين عن أبيه، فهو يقول: "قال سحنون: وأكره للمعلِّم أن يعلِّم الجوارى، ولا يخلطهن مع الغلمان؛ لأن ذلك فساد لهم"(٦٥)، والإمام سحنون تميز بشخصية صارمة – كما هو معروف - لكن لأى مدى التزم المعلمون برأيه؟ يغلب على الظن أن الكثير من المعلمين خاصة فى القرى والأماكن النائية لم يلتزم بهذا الرأى، وقد يسير فى نفس الاتجاه الكثير من معلمى الكتاتيب فى المدن، وغاية ما يمكن أن يلتزم به المعلمون هو الفصل ما بين البنين والبنات فى مكان الجلوس، أو تخصيص وقت محدد للبنات.ونص الإمام سحنون نفسه" وأكره للمعلِّم أن يعلِّم الجوارى" يؤكد أن كثيرًا من المعلمين كانوا يعلمون البنات؛ مما دعى سحنون لإنكار هذا عليهم.

إذن: يغلب على الظن أن البنات عُلمن فى الكتاتيب على يد المعلمين، مع الفصل بينهن وبين البنين، أو تخصيص أوقات خاصة لهن، وهناك نص غاية فى الأهمية يدعم هذا، فالقاضى عيسى بن مسكين (ت٢٧٥ هـ/٨٨٨م) فى غير مدة قضائه "كان إذا أصبح قرأ حزبًا من القرآن، ثم جلس للطلبة إلى العصر، فإذا كان بعد العصر، دعا بنتيه وبنات أخيه يعلمهن القرآن والعلم"(٦٦)، ولعل وجود عالمات مسلمات فى الدولة الأغلبية – كما سوف

(٦٤) الخشنى: علماء إفريقية، ١٨٠.

(٦٥) ص ١١٧.

(٦٦) القاضى عياض: المدارك،٣٤٩:٤.

نوضح – يدل على اهتمام المسلمين فى الدولة الأغلبية بتعليم البنات، وأنهن لم يتعرضن للإهمال.

وبمجاورة هذه الجزئيات من تعليم النشء لدى الرستميين والأغالبة نجد أن تعليم النشء بنين وبنات وجد وبشكل نشط فى الدولتين، وكان هناك اهتمام شعبى ورسمى فى هذا الصدد، ويمكن القول: أن التعليم فى الدولتين انقسم لتعليم عام، ضم أبناء الناس وهو ما توفر فى الكتاتيب والمساجد وما يشبه المدارس الأولية، وتعليم نخبوى: ضم أبناء الأمراء والوزراء والحاشية وكان ذلك فى قصور الحكام وفى بيوتات كبار الأثرياء والعلماء ومن شاكلهم، ولا شك أن نوعية المعلمين اختلفت بسبب الوضع الاقتصادى للفريقين، فبينما تعلم أبناء الناس على يد الأكفْاء وغيرهم، انتخب المعلمون المهرة ذائعو الصيت لأبناء الأمراء والحاشية، وقد بدا هذا واضحًا بشكل جلى لدى الأمراء الأغالبة، بينما كان خافتًا لدى الرستميين الذين كان أئمتهم من أهل العلم والذين اهتموا بشكل شخصى بمسألة تعليم أبنائهم ربما على أيديهم أنفسهم مع الاستعانة بالمعلمين الأكفْاء والذين غلب عليهم فى المجتمع الإباضى مسحة الزهد والتقلل من الدنيا على ما أشتهر من حال الإباضية.

أما عن ما يمكن أن نطلق عليه بلغتنا المعاصرة (التعليم الثانوى) فقد وجد وازدهر أيضًا فى المجتمع الرستمى فبعد الانتهاء من مرحلة التعليم الأولى – فى الغالب – يبدأ الطالب وبشكل تلقائى الترقى لمرحلة جديدة فى طلبه للعلم فبإمكانه الأخذ على علماء الإباضية على كثرتهم فى المجتمع الرستمى(٦٧)، وذلك من خلال حضور مجالس العلم فى المساجد بصحبة آبائهم أو أقاربهم، ويذكر أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب (تولى من ١٩٨ إلى

(٦٧) نلاحظ كثرة العلماء فى شتى فنون العلم فى المجتمع الرستمى، أنظر مثلًا: ابن الصغير، ٢٣: ٢٤؛ الدرجينى، ١: ٥٧؛ ٥٨؛ ٥٩؛ ٦٠؛ الشماخى، ١٠٨.

٢٤٧هـ) "قعد بين يديه أربع حلق قبل بلوغه، يتعلمون منه فنون العلم"[٦٨]، والراجح أن الكثير من رواد حلقاته العلمية كان من أقرانه فى السن ممن حرص على تلقى العلم على يد أبناء الأئمة، كذلك كان بعض الآباء من نواحى الدولة الرستمية يرسلون أبناءهم للتعلم على يد الأئمة فى تيهرت نظرًا لازدهارها الثقافى[٦٩]، مما يوضح مدى ازدهار التعليم فى الدولة الرستمية.

وهنا يتبادر للذهن سؤال: هل كل من أكمل تعليمه الأولى فى المجتمع الرستمى كان يحرص على الانتقال للمرحلة الأعلى، أم أن هناك من تفلت من هذا الأمر؟ وهل كان التعليم لدى الإباضية الرستميين إلزاميًا أم حرًا؟

لا تواجد لدينا نصوص تسعفنا فى الرد على مثل هذه التساؤلات، لكن يبدو أن التعليم كان فى هذه العصور حرًا ولم يكن إلزاميًا، لكن هل يعنى هذا تفلت الطلبة من إكمال دراستهم؟ فى الحقيقة لا، خاصة فى المجتمع الإباضى القائم على العلم والتعلم فلا شك أن العقل الجمعى للإباضية كان يحتم على أبنائه مواصلة الدرس وطلب العلم، وقد وجدنا آباء يرسلون أبناءهم من نواحى الدولة الرستمية البعيدة لتيهرت عاصمة الرستميين لتلقى العلم على يد الأئمة وجلة علماء الإباضية[٧٠]، وعليه: فالغالب أن الضغط المجتمعى وغلبة النزعة الدينية على الإباضية كل ذلك كان يدفع صغار طلبة العلم على مواصلة تعليمهم، وإن كان هناك فرصة لتفلت البعض بسبب بعده عن المراكز العمرانية أو سوء الأحوال الاقتصادية لدى البعض خاصة فى الأماكن النائية.

ولا شك أن التعليم الثانوى تواصل كذلك فى بيوت الأئمة الذين اهتموا بتعليم أبنائهم وبناتهن فنون العلم[٧١]على نحو ما أسلفنا.

---

(٦٨) الدرجينى، ١: ٧٧. الشماخى، ١٠٧ (والنص فى المتن للشماخى).

(٦٩) نفسه، ١٣٤.

(٧٠) نفسه، ١٣٤.

(٧١)أبو زكرياء: كتاب سير الأئمة وأخبارهم، ٩٩.

ويبدو أن البنات أيضًا أكملن دراستهن ما بعد التعليم الأولى يفهم هذا من أن بنات الأئمة كن يجدن فنون العلم(٧٢)، وهناك نص أورده الشماخى يوضح بجلاء مدى حرص نساء الإباضية من أهل الفضل والعلم خلال القرن الثالث للهجرة على تعليم الناس ونشر العلم بينهم، فقد تمنت إحداهن (من أهل جبل نفوسة) وقالت "لو وقعت بين قوم جهال، أذكرهم وأعلمهم أمر دينهم، لعل الله أن يرحمنى ! فأعطيت ما تمنت"(٧٣). وهذا فى حق الناس عامة، فما بالك ببنات جنسهن، فالغالب أن صاحبات العلم والفضل من نساء الإباضية فى الدولة الرستمية كان لهن دور مميز فى تعليم البنات سواء فى مرحلة تعليم النشء أو فيما بعد ذلك.

أما عن المجتمع الأغلبى فبعد أن ينتهى الطالب من الكُتاب، وبعد أن يُحصّل من المواد ما هو بحاجة إليه فى مرحلة التعليم الأساسى، تبدأ مرحلة ما يمكن أن نطلق عليه "التعليم الثانوى"، فهناك بعض الأسر من ذوى الجاه، أو المكانة العلمية تحضر لأبنائهم مؤدبًا خاصًا(٧٤)، يكمل معهم مسيرة التعليم، ويكسبهم ما هم بحاجة إليه من علوم وآداب؛ حتى يشبوا على مكارم الأخلاق، ويستعدوا لتحصيل المزيد من العلوم فى مرحلة الشباب.

وهناك من الآباء من يصحب أبناءه لمجالس العلماء على اختلاف تخصصاتهم، وقد أورد الخشنى – رحمه الله – نصوصًا فى غاية الأهمية فى هذا الصدد، فهو يقول عند حديثه عن علماء إفريقية: "وأبو داود العطار أحمد بن موسى بن جرير، قد ذكر أبو العرب بن تميم أباه فى هذا الكتاب من قبل، وذكر أن بسببه سمع أبو داود من جلة شيوخ القيروان، وهو معدود فى

(٧٢) الشماخى، ٧٠: ٧١؛ ١٠٧.
(٧٣) ص ١٢٦.
(٧٤) انظر: المالكى، ١: ٣٤٥؛ الدباغ، ٢: ١٢٤.

أصحاب سحنون، وكان من ذوى الوجاهة والتقدم"[٧٥]، ثم يقول: "وابن علاقة، وهو: خال حماس بن مروان، وهو الذى كان يأتى بحماس إلى سحنون وهو صبى يسمع منه"[٧٦]، وحماس هذا واصل دارسته مع الإمام سحنون إذ كان يختلف إليه فى الصبا[٧٧].

وإلى جانب الآباء والأقارب، كان بعض الصبيان يقبلون على مجالس كبار العلماء لسماع العلم والتوسع فى المعرفة، فقد ذكر الخشنى ما نصه "وممن أشبه حماسًا فى صحبته سحنونًا فى سن الصبا فى حين الصغر، محمد بن بسيل، كان يختلف إلى سحنون طفلًا، ومعه غلمان له مماليك، يحملون له مُصَلى، ويمسكون دابته"[٧٨].

وهذه المجالس العلمية والتى يحضرها الصبية على نحو ما رأينا كانت تقوم بدور مكمل لما بدأه المؤدب فى الكُتاب، وترتقى بالطالب، حتى يتمكن بعد ذلك من إكمال دراسته العليا.

ويبدو أن تعليم البنات تواصل فى هذه المرحلة، فالعلماء والمؤدبون كانوا يتولون تعليم بناتهن وبنات أقاربهم[٧٩]، ولا يوجد ما يمنع بعض الأسر من إحضار معلمات لتعليم بناتهن، على نحو ما فعل مع البنين.

أما فى قصور الأمراء فقد تواصل التعليم ما بعد الابتدائى، حيث وجد مؤدبون يقومون بتعليم أبناء الأمراء [٨٠]، وهؤلاء كان يتم انتخابهم – لا شك

---

(٧٥) طبقات علماء إفريقية، ٢٠٥.

(٧٦) نفسه، ٢٠٧.

(٧٧) نفسه.

(٧٨) نفسه، ٢٠٨.

(٧٩) انظر: عياض: ترتيب المدارك، ٤: ٣٤٩.

(٨٠) الخشنى: المصدر السابق، ١٨٠.

– بدقة عالية، كذلك فقد حرص الأمراء على إكساب أبنائهم الثقافة والمعرفة من خلال صحبة أهل العلم، فهذا إبراهيم بن الأغلب مؤسس الدولة الأغلبية كان يهتم بابنه زيادة الله اهتمامًا خاصًا، فكان "إذا قدم عليه أحد من الأعراب والعلماء بالعربية والشعراء، أصحبهم ابنه زيادة الله هذا، وأمرهم بملازمته، فكان أفضل أهل بيته وأفصحهم لسانًا، وأكثرهم بيانًا، وكان يعرب كلامه ولا يلحن، دون تشادق ولا تقعر، ويصوغ الشعر الجيد"(٨١).

وبالنظر والتدقيق فى التعليم ما بعد الأولى فى الدولتين الرستمية والأغلبية نجد أنه وجد وازدهر هنا وهناك، لكنه أخذ اهتمامًا خاصًا من علماء المذهب وأئمة الرستميين، الذين رتبوا المعلمين والعلماء الذين يقومون بتعليم الصبية فى حلقات عامة فى المسجد تضم فنون العلم، وخير ممثل لهذه الحلقات ما قام به الإمام أفلح الذى جلس فى المسجد يعلم أقرانه وغيرهم من شباب الإباضية، هذا الدور الذى افتقدناه عند أمراء الأغالبة الذين شجعوا التعليم دون أن يكون لهم إسهام مباشر كأئمة الرستميين؛ ولعل ذلك يعود لاختلاف نظام الحكم فى الدولتين، فالإمامة الرستمية كانت دولة من رجال الدين، بينما الدولة الأغلبية أسسها قائد عسكرى – وإن أجاد علوم الدين – وورَّثها لأبنائه من بعده أمراء الدولة الأغلبية.

ونلاحظ فى الدولتين أن النخبة الحاكمة أو أصحاب الجاه والمال، أو العلماء ومن انتسب إليهم كانت فرصتهم أوفر لإكمال تعليم أبنائهم (الثانوى) وإن لم يُحرم من أحب أن يواصل تعليمه من عامة الناس من هذه الفرصة، نظرًا لوفرة المعلمين والعلماء المتجردين لفعل الخيرات ونشر العلم هنا وهناك.

---

(٨١) ابن الآبار: الحُلة السيراء، ١: ١٦٣. وقارن: ابن الخطيب: المصدر السابق، القسم الثالث، ١٦.

وقد واصلت البنات فى الدولتين إكمال دراستهم، ويبدو أن هذا كان بضوابط وشروط فى الدولة الأغلبية خاصة والتى غلب عليها المذهب المالكى والسحنونية التى تشددت فى مسألة تعليم البنات على يد معلمين رجال غرباء، لذلك وجدنا تعليم البنات على يد الأب أو العم أو الخال، وإن لم تعدم البلاد معلمين ومعلمات خصصنا أوقات معينة لتعليم البنات على نحو ما ألمحنا. ويبدو أن مساحة الحرية المتروكة للمرأة فى مسألة التعليم كانت أكبر وأوسع عند الرستميين الإباضية الذين سمحوا للمرأة فى التنقل من مكان لمكان لطلب العلم كما سوف نرى بعد قليل. لكن فى الغالب أن تعليم البنات فى المجتمعين الرستمى والأغلبي كان يسير بصورة معقولة مقارنة بتعليم البنين، وهذا أمر طبيعى نتيجة لميراث تاريخى قديم خاص بوضع المرأة بشكلٍ عام.

أما عن التعليم العالى فى الدولة الرستمية فبعد هذه المراحل – المتقدمة آنفًا - من التعليم الأساسى يبدأ الطالب، وقد صار على أعتاب مرحلة الشباب، فى تحصيل العلم فى شتى المعارف على يد علماء المذهب، فقد ازدهرت مجالس العلم فى جبل نفوسة(٨٢) والقرى والمدن الإباضية(٨٣)، وفى تاهرت العاصمة الرستمية(٨٤)، وتنوعت هذه المجالس – فى الغالب كما هو واضح من كُتب السير- بين المسجد وبيوت العلماء وبيوت الأئمة وبعض البيوتات الخاصة.

ولم تقتصر حلقات العلم على العلوم الدينية –وإن كانت هى الغالبة-

(٨٢) الشماخى، ٦٧؛ ٧١: ٧٢؛ ١٣٩.

(٨٣) ابن الصغير، ٢٤:٢٣؛ الشماخى، ٧٢؛ ١٥٤.

(٨٤) الدرجينى، ١: ٧٧؛ الشماخى ١٠٧؛ ١٤٣.

بل شملت المناظرات وعلم الكلام والفلك والحساب[٨٥] مما سوف نعرض له مفصلًا عند الحديث عن المناهج الدراسية.

وقد أسهم الأئمة بدور تعليمى مهم سواء فى تاهرت أو جبل نفوسة وأثروا التعليم العالى، فقد كان للإمام عبد الرحمن بن رستم – كما قدمنا – مجالس علمية مميزة، وابنه عبد الوهاب كان يهتم إهتمامًا خاصًا بطلبة العلم، وله تآليف عديدة، ومجالس مذكورة سواء فى تيهرت أو فى جبل نفوسة، وكان شغوفًا بجمع نفائس الكتب[٨٦]، والإمام أفلح بن عبد الوهاب كانت له مجالس تعليمية فى غير فن – كما ألمحنا منذ قليل –، وقد بلغ فى علم الغبار والنجامة مبلغًا عظيمًا[٨٧]، وأبو اليقظان محمد بن أفلح (تولى من ٢٨١:٢٦٠ هـ) "كانت نفوسة تجعل باب داره كالمسجد، يسهرون حوله طائفة يقرؤون القرآن، وطائفة يصلون، وطائفة يتحدثون فى فنون العلم.. وبلغ فى العلم مبلغًا عظيمًا، وألف كتبًا كثيرة.."[٨٨].

وقد ترتب على اهتمام الرستميين بالتعليم العالى وجود خزانة عامرة بأمهات الكتب فى عاصمتهم تاهرت[٨٩]، كانت مقصدًا لطلبة العلم ممن أراد أن يتخصص فى فنون المعرفة ويحيط بخبايا المذهب.

وقد أدى الاهتمام النشط بالتعليم العالى من قبل الرستميين إلى بروز علماء فى كافة المجالات: فى التفسير، وعلم الكلام، والمناظرات، والقرآن،

---

(٨٥) يتضح هذا من تفوق الإباضية فى مثل هذه العلوم، انظر: الشماخى، ٧٠: ٧١؛ ١٠٧.

(٨٦)الدرجينى، حـ ١، ص ٦٦-٦٧؛ الشماخى، ص ٥٠، ٨٥، ٧٠.

(٨٧) نفسه، ١٠٧ (والغبار: هو جدول الحساب، وحروف الغبار، حروف الحساب. أنظر:أحمد رضا: معجم متن اللغة، ٢٦٢:٤).

(٨٨) الشماخى، ١٤٣.

(٨٩) انظر: الدرجينى، ٢: ٣٢٣؛ الشماخى، ١٥٢.

والرد على المخالفين[٩٠]، والنحو واللغة؛ لدرجة أن ابن الصغير المالكى أحد مؤرخى تاريخ الرستميين تعلم ودرس اللغة على يد علماء الإباضية فى المجتمع الرستمى[٩١].

هذا ولم يكن التعليم العالى حكرًا على الرجال فى المجتمع الرستمى، فقد زاحمت المرأة الرجال فى هذا المجال، فحرصت المرأة الإباضية فى الدولة الرستمية على حضور مجالس العلم[٩٢]، وكانت تخرج من قرية لأخرى لحضور مجالس كبار علماء المذهب[٩٣]، ويفهم من النصوص المختلفة التى أوردتها كتب السير أنه خصص مكانٌ فى مجالس العلم العامة للمرأة [٩٤]، وبذلك شاركت المرأة الرجل فى تلقى العلم فى مجلس واحد، كذلك فتحت بعض النساء المسنات من صاحبات العلم بيوتهن لطلاب العلم وقدمت لهم الرعاية الفائقة وساعدتهم على نسخ كتب العلم الهامة، فهذه أم يحيى زوجة أبى ميمون المتوفى سنة ٢٨٣هـ لما مات زوجها "بقيت بعده كهفًا للإسلام، ومأوى للأخيار، فكانوا يجتمعون عندها... فى ليلة الجمعة، يتذاكرون ويحيون ليلتهم فى العبادة...وفى السير، أن كتاب الخليل الصالح أول ما وقع بالجبل عند بعض أهل أمسين، فمنع من إعطائه للنسخ،فأخذته.. فقالت: من أراد أن ينسخ، فليأتِ "[٩٥]. وجعلت بعض النسوة من بيوتهن مكانًا لمجالس العلم

(٩٠) انظر: الدرجينى، ١: ٥٧: ٦٢.
(٩١) انظر: أخبار الأئمة الرستميين، ٤٦.
(٩٢) الشماخى، ١٢٩؛ ١٣٩.
(٩٣) نفسه، ١٣٩.
(٩٤) نفسه، ١٢٩.
(٩٥) نفسه، ١٥٩: ١٦٠.

إذ يستضيف بيتُها أحد كبار العلماء فى جلسات علمية خاصة للنسوة[٩٦]، وبعض العلماء كان يستعين بزوجته لتنظيم مجلس خاص بالعلم فى بيته يخصص لنساء قريته[٩٧]. ولم يقتصر دور المرأة على ذلك بل شاركت فى عملية التدريس وتعليم العلم للنسوة، وخصصت مجالس لتعليم النساء ونشر المعرفة بينهن[٩٨].

ولم يكتفِ طلاب العلم فى الدولة الرستمية بطلب العلم فى نواحيهم المختلفة بل تنقلوا بين القرى والمدن الإباضية، فهناك العديد من النصوص التى تشير إلى ارتحال طلبة العلم من جبل نفوسة مثلًا لتاهرت لتلقى العلم على أئمتها وعلمائها[٩٩]، ونصوص أخرى توضح ارتحال طلبة العلم بين المدن وبعضها فى إطار الدولة الرستمية طلبا للعلم والمعرفة[١٠٠]، ولم يكتفِ الطلبة بهذا بل ارتحل الكثير منهم للشرق لإكمال دراستهم العليا مثل "نفاث ابن نصر" من الطبقة الثالثة (٢٠٠-٢٥٠هـ) الذى ارتحل للمشرق و"أتى بغداد، وله فيها أخبار فى شدة الحفظ، وكثرة العلم، وحمله لديوان جابر إلى

(٩٦) نفسه، ١٣٧، إذ يذكر عند ترجمته لأبى ذر أبّان بن وسيم الويغوى من علماء القرن الثالث للهجرة ما نصه " وكان له مجلس علم عند امرأة صالحة فقيهة " ويفهم من بقية النص أنه مجلس خاص بالنساء.

(٩٧) نفسه.

(٩٨) نفسه، ١٦٠.

(٩٩) نفسه، ٧٩؛ ١٣٤.

(١٠٠) نفسه، ٧٨، ٧٩، ١٣١.

وقد ترجم الشماخى لـ "أبى خليل صال" من علماء الطبقة الثالثة (٢٠٠ - ٢٥٠هـ) للإباضة وذكر أنه كان "يقول للطلبة: ائتوا المجالس يا كسلاء، فقد حضرها من حضرها ما بينه وبين قابس، وما بينه وبين فزان.." انظر: ص١٣١.

المغرب"[١٠١]، و"أبو المنيب محمد بن يانس" وهو من علماء الطبقة الثانية (١٥٠- ٢٠٠هـ) ومن مشاهير علماء نفوسة والذى ارتحل للشرق وأفاد من علماء مصر والحجاز و"قسم عمره بين طلب العلم، والزيارة والحج وقراءة العلم.." والذى تميز فى "علم تفسير كتاب الله"[١٠٢]، و"عمروس بن فتح"(ت٢٨٣هـ/٨٩٦م) والذى "مكث بالمغرب يتعلم عشرين سنة.." ولم يكتف بهذا بل ارتحل للشرق وأفاد من علماء المذهب، وكان "له مصنفات فى الفروع والعقائد.."[١٠٣].

أما عن الدولة الأغلبية فقد ازدهر فيها التعليم العالى بما يتناسب مع التطور الثقافى والمعرفى الكبير الذى شهدته ولاية إفريقية، فبعد أن ينهى الطالب تحصيل علومه الأساسية، يبدأ فى مرحلة التعليم العالى على يد العلماء، وقد تعددت أمكنة التعليم العالى فى الدولة الأغلبية، ما بين مجالس العلم التى تُعقد فى المساجد، أو فى بيوت العلماء، أو فى البادية، أو قصور الأمراء، أو الأربطة، أو غير ذلك.

وإذا تحدثنا عن مجالس العلم التى تعقد بالمساجد مثلًا، نجد أنها

---

(١٠١) نفسه، ١٣٤، وقد أفاض الدرجينى، (١:٨٠ . ٨٢) فى ذكر أخبار نفاث وحمله ديوان "جابر بن زيد" للمغرب، وجابر بن زيد هو أول من نقل عنه المذهب الإباضى ويبدو أن ديوانه هذا مجموع الأحاديث والآثار المروية عن الصحابة على الطريقة الأولى التى انتهجتها كتب الحديث، وتوفى سنة ٩٦هـ. (راجع: حاشية، الدرجينى، ١:٨١، حاشية١)، وعن رحلة نفاث أيضًا انظر: النفوسى: الازهار الرياضية فى أئمة وملوك الإباضية، ٢: ٢٠٦ - ٢٠٩.

(١٠٢) انظر الشماخى: كتاب السير، ٧٥، ٧٧، ٧٩.

(١٠٣) انظر: الدرجينى، ٢،:٣٢٠ - ٣٢٤؛ الشماخى، ١٤٨: ١٥٤؛ ولعمروس ترجمة فى: الوسيانى (أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان المتوفى ٤١٨ هـ): كتاب السير "سيرة أبى الربيع" مخطوط بدار الكتب، رقم ٩١١٣، ورقة ٣: ٤.

انتشرت فى نواحى الدولة الأغلبية، وكانت هذه المجالس مجالس ثقافية يعرض فيها لعلوم الدين من تفسير وفقه وحديث وتُقرأ فيها أمهات الكتب وتُقص النوادر والأشعار(١٠٤)، وكان الطلبة يتوافدون على هذه المجالس بأعداد كبيرة يحملون معهم المحابر والدفاتر ويسجلون كل هذا (١٠٥)، وتوافد على هذه المجالس فى المدن الكبرى مثل القيروان أعداد كبيرة من طلبة العلم سواء من داخل الولاية أو من سائر المغرب فأسد بن الفرات (ت ٢١٣هـ/٨٢٨م) الذى كان يعقد مجالسه فى المسجد الجامع بالقيروان "رحل الناس إليه من البلدان وسمعوا عليه وتفقهوا به" (١٠٦) وكتب إليه أهل النواحى بمسائلهم (١٠٧)، وكان أهل البادية يأتون للقيروان خصيصًا للسماع عليه (١٠٨)، وزخرت مدن ولاية إفريقية الأخرى بعلمائها وصالحيها الذين كانوا لا يقلون قيمة عن علماء القيروان (١٠٩)، والذين –لا بد – كان لهم مجالسهم العلمية المشابهة.

أما عن المجالس فى بيوت العلماء، فالمثال الواضح لها (مجلس الإمام سحنون) فقد كان مجلس سحنون الرئيس لتعليم الناس فى بيته (١١٠)، وكان الطلبة يتوافدون عليه بأعداد كبيرة لدرجة أن مجلسه فى الدار كان يضيق عليهم فيجلسون فى الطريق!! (١١١)، وخلال المجلس تعرض على سحنون

(١٠٤) انظر: المالكى: المرجع السابق، صفحات، ٢٦٥، ٢٧١، ٢٨٩، ١٨٢، ٢٥٢، ٢٧٠، ٢٥٧.

(١٠٥) نفسه، ٢٧١.

(١٠٦) نفسه، ١٨٢.

(١٠٧) نفسه، ١٨٤.

(١٠٨) نفسه، ١٨٥.

(١٠٩) انظر: نفسه، ١٥٨؛ المدارك، ٣: ٨٠؛ ٣٢٣؛ حـ ٤، ٥١؛ الدباغ، معالم الإيمان، ٢: ٨٣.

(١١٠) المالكى: الرياض،١: ٢٥٩.

(١١١) نفسه، ٢٦٦.

المسائل (الأسئلة) فيجيب عن ذلك بحضرة الطلبة [١١٢]، الذين لا بد أنهم كانوا يدونون مثل هذه المسائل وإجابات الشيخ عليها.

وإذا تحدثنا عن التعليم العالى فى البادية نجد أن بعض العلماء كان يخص أهل البادية بمجالسٍ خاصة، فالإمام سحنون كان يختلف كثيرًا إلى البادية حيث "يتولى حرث ضيعته وأسباب مؤنته" [١١٣]، حتى لا يحتاج لأحد من الأمراء أو أصحاب الجاه [١١٤]، فكان يستفيد منه أهل البادية والقرى المجاورة ويسمعون عليه[١١٥]، حتى بعض الطلبة ممن يقصدونه فى القيروان إذا لم يجدوه ذهبوا إليه فى البادية [١١٦].

وفى الأربطة العديدة المنتشرة فى الدولة الأغلبية، كان يرابط الكثير من أهل العلم لفترات مختلفة[١١٧]، فلا بد أنه كان لهؤلاء مجالس علمية فى مثل هذه الأربطة استفاد منها طلاب العلم[١١٨].

ويفهم من كتب الطبقات والسير أن قصور الأمراء الأغالبة كانت غنية بالشعراء والأدباء وأهل العلم الذين يتناظرون فى المسائل اللغوية والأدبية وكذلك المسائل الفقهية والدينية [١١٩]، وهذه مثلت صالونات أدبية وعلمية فى قصور الأمراء، استفاد منها من حضرها من طلاب العلم،أو

---

(١١٢) نفسه، ٢٦٩.

(١١٣) نفسه، ٣٩٧.

(١١٤) نفسه، ٢٥٧.

(١١٥) نفسه، ٢٦٨.

(١١٦) نفسه، ٣٩٧.

(١١٧) نفسه، صفحات ٣٢٤؛ ٣٢٥؛٣٢٦.

(١١٨) انظر: أبو العرب: طبقات علماء إفريقية وتونس،١٥٣.

(١١٩) انظر: نفسه، ١٧١ .١٧٢؛ المالكى، ٢٠١ .٢٠٣؛ ابن الآبار: المصدر السابق ، ١: ١٦٣؛ ابن الخطيب: المصدر السابق، القسم الثالث، ١٦.

سمعوا عنها، أو قرأوا نوادرها من خلال الكُتب التى وعت مثل هذه النوادر، وبذلك أسهم الأغالبة بطريق غير مباشر فى الارتقاء بالتعليم العالى.

ولم يقتصر ازدهار التعليم العالى فى الدولة الأغلبية على "المذهب السنى" فعلى الرغم من أن ولاية إفريقية انتشر بها المذهب المالكى بشكل كبير؛ بسبب كثرة المرتحلين من أبنائها إلى الإمام مالك، وعلى الرغم من وجود المذهب الحنفى، إلا أنه ونتيجة للتسامح الدينى من قبل الأغالبة فقد انتشرت مجالس العلم الخاصة بأصحاب الفرق، يفهم هذا من النصوص السنية القائلة بأن سحنون بن سعيد كان أول القضاة "فرّق حلق أهل البدع من الجامع، وشرّد أهل الأهواء منه، وكانوا فيه حلقًا من الصفرية والإباضية والمعتزلة وكانوا فيه حلقًا يتناظرون به ويظهرون زيغهم" (١٢٠).

وقد شارك أهل الزهد والنسك – على كثرتهم – فى الدولة الأغلبية، فى عملية التعليم بمواعظهم وسلوكهم، وكذلك بما حدثوا به من علم فى بعض الأوقات(١٢١).

ويبدو أن التعليم العالى لم يكن حكرًا على الذكور فقط، فكتب السير تتحدث عن عالمات مسلمات ينتمين إلى عصر الأغالبة، كأسماء بنت أسد بن الفرات (ت٢٥٠هـ/٨٦٤م)(١٢٢)، وخديجة بنت سحنون (ت٢٧٠هـ/٨٨٣م)، والتى كانت من خيار الناس(١٢٣)، وعلى ما يبدو أن العلماء كانوا يحرصون على تعليم بناتهن وتفقيههن فى الدين، فصرن عالمات

(١٢٠) المدارك، ٤: ٦٠، وقارن: المالكى، ١: ٢٧٦، الدباغ، ٢: ٨٧، ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة، القاهرة – مكتبة مدبولى، ١٩٨٨م، ٥٨.

(١٢١) انظر: المالكى، ٢٣٠؛٢٣١؛٢٣٢؛٢٣٦: ٢٣٧.

(١٢٢) انظر: عياض: ترتيب المدارك، المغرب (الطبعة الثانية)، ١٩٨٣م، ٤: ٦٢.

(١٢٣) الدباغ: المصدر السابق، ٢: ٨٦.

يكملن مسيرة آبائهن، ويبدو أن بعض الأسر -خاصة المتيسرة منها- حرصت على إكمال البنات تعلمهن العالى.

كذلك عرف التعليم العالى للبنات طريقه لقصور الأغالبة، فقد وجد معلمون ومؤدبون يقومون بتعليم الجوارى وإكسابهن الثقافة الرفيعة(١٢٤)، كما ظهر من بنات الأغالبة أديبات شاعرات نتيجة للتعليم العالى الذى خضعن له، مثل الأميرة مهرية بنت الحسن بن غلبون التميمى، والتى نشأت أواسط القرن الثالث الهجرى بمدينة رقادة قرب القيروان فى عز ورفاهية إذ كانت من الأسرة الأغلبية الحاكمة، وكانت تتقن العربية، وهى شاعرة جيدة النظم (١٢٥).

وإلى جوار هذا التعليم العالى النشط، لم يكتفِ الكثير من طلاب العلم فى الدولة الأغلبية بعلماء الداخل، فخرج الكثير منهم فى رحلات علمية للشرق؛ طلبًا لمزيد من العلم والمعرفة، وقلما نجد عالمًا فى الدولة الأغلبية إلا وله رحلة للشرق أخذ فيها على أعلام علماء الأمصار الإسلامية(١٢٦).

ومما يدل أخيرًا على تقدم التعليم فى عصر الدولة الأغلبية ازدهار الرحلة الوافدة إليها لا سيما من قبل طلبة العلم الأندلسيين، وليس أدل على نشاط الرحلة من الأندلس للدولة الأغلبية من كثرة تلامذة الإمام سحنون من الأندلسيين (١٢٧) والذى كان له فى مدنها رواة يسمون رواة سحنون

---

(١٢٤) الخشنى: المصدر السابق، ١٨٠.

(١٢٥) انظر: الدباغ: المصدر السابق، ٢: ٢١٧ ـ ٢١٨؛ حسن حسنى عبد الوهاب: شهيرات التونسيات،المطبعة التونسية،١٣٥٣هـ، ٢٥.

(١٢٦) انظر: محمد على عبد الرحمن: الرحلة فى طلب العلم، ٢٥٠.

(١٢٧) انظر: مثلًا: المالكى: رياض النفوس،١: ٢٦٥؛ ٢٦٧؛ ٢٨٨؛ ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى بن العماد الحنبلى المتوفى ١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، القاهرة – مكتبة القدس ، ١٣٥٠هـ،١٣٩:١،.ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن

(١٢٨)،وقد حرص طلبة العلم الأندلسيون على سماع مدونة سحنون فى الفقه المالكى، فكانوا يكتبونها فى بلادهم نقلًا عمن ارتحل إلى سحنون ثم يذهبون بها لسماعها مشافهة عليه (١٢٩).

وتأسيًا على ما تقدم نستطيع القول: أن التعليم العالى ازدهر فى الدولتين الرستمية والأغلبية، وكان دور الأئمة الرستميين دور المشارك فى عملية التعليم والارتقاء به فى ربوع دولتهم، بينما تمحور دور الأمراء الأغالبة على عملية التشجيع والدعم من خلال إنشاء المساجد ودعم العلماء وتوفير الأمن والاستقرار المساعد للعملية التعليمية، ولقد ازدهرت لدى الطرفين الرحلة فى طلب العلم سواء الرحلة الداخلية بين القرى والمدن، أو الرحلة للشرق، وإن تميز الأغالبة بوفرة الرحلات الوافدة إليهم خاصة من الأندلس والتى قصدت الإمام سحنون بشكل خاص. ولقد استمر تعليم المرأة فى الدولتين وفقًا للظروف التى ألمحنا إليها لكن مساحة الحرية التى كفلها الرستميون للمرأة فاقت بمراحل ما توفر لنظيرتها فى المجتمع الأغلبى الذى تحفظ مع المرأة تأثرًا بالسحنونية.

وفى اعتقادى أن مساحة الحرية التى أُتيحت للمرأة فى المجتمع الإباضى فى التنقل طلبًا للعلم وحضور المجالس جاءت متأثرة بعادات قديمة تميز بها سكان المغرب الأصليون (البربر) والذين مثلوا غالبية سكان الدولة الرستمية والذين أعطوا المرأة مساحة كبيرة من الحرية.

عبد الله الحموى الرومى البغدادى المتوفى سنة ٦٢٦هـ): معجم البلدان، ١: ٢٤٤.محمد العروسى المطوى: سيرة القيروان، تونس.الدار العربية للكتاب، ١٩٨١م، ٨١.

(١٢٨) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ١: ٢٤٤.

(١٢٩) المالكى: الرياض، ١:٢٦٧.

"قال عيسى بن مسكين: وأتى قوم من الأندلسيين قد كتبوا "المدونة" وأرادوا أن يسمعوها من سحنون...".

ثالثًا- المعلمون والمتعلمون:

بدأ دور المعلم فى الدولة الرستمية كرجل متطوع لتعليم النشء ونشر المذهب بينهم فى أساسياته الأولى(١٣٠)، وبعد استقرار أمور الدولة وازدهارها، وتدفق الناس عليها من الأماكن المجاورة(١٣١) – فى الغالب – تبدل الأمر فأصبح معلم الأولاد يتقاضى الأجر أسوة بما كان منتشر فى الأماكن القريبة لا سيما ولاية إفريقية، وإن استمر دور المعلم المتطوع خاصة فى الأماكن النائية(١٣٢).

ولا شك أن الدولة الأغلبية لم تعدم وجود معلمين متطوعين، لكن كانت الغالبية بأجر ويفهم من كتاب آداب المعلمين، وهو عمدة فيما يخص التعليم الأولى لدى الأغالبة، أن أجرة المعلم كانت شهرية، وأحيانًا سنوية، أو حسبما اتفق الطرفان، وقد تكون الأجرة على نصف القرآن، أو ربعه، أو ما سميا منه(١٣٣).

ويبدو أنه كان يتم انتخاب المعلمين فى الدولتين بعناية، من حيث حسن الخلق، والخصال الرشيدة، والاستقامة، والعلم، وقد أحصى البعض الكثير من أقوال الصالحين والمفكرين فى هذا الباب (١٣٤).

ويفهم من الازدهار الاقتصادى فى الدولة الرستمية(١٣٥) أن المعلمين والعلماء ومن انتسب إليهم كانوا ميسوري الحال خاصة فى أماكن الحضر، على

---

(١٣٠) الشماخى، ٤٨.

(١٣١) ابن الصغير المالكى: أخبار الأئمة الرستميين، ص ١٢: ١٣.

(١٣٢) الشماخى، ١٢٦.

(١٣٣) آداب المعلمين، ٩٥- ٩٦؛ ١٢٩ -١٣٠.

(١٣٤) انظر: حسن حسنى عبد الوهاب، مقدمة تحقيقه لأداب المعلمين، ٤٧ وما بعدها.

١٣٥))ابن الصغير المالكى: أخبار الأئمة الرستميين، ص ١٢: ١٣.

عكس المعلمين والعلماء رقيقى الحال فى الأماكن الجبلية والنائية. أما فى الدولة الأغلبية، فإنه يُفهم من روح النصوص عند محمد بن سحنون أن غالبية المعلمين أو الكثير منهم كان يتخذ التعليم مهنة، وأن الكثير منهم كان رقيق الحال، يفهم هذا من العطية التى تفرض عند ختم الصبى للقرآن(١٣٦)، وأن بعض المعلمين ربما يذهب للقاضى ليقضى له بحقه فى الختمة إن تنصل الأب من ذلك(١٣٧).

أما عن واجبات المعلم: ففى الدولة الأغلبية كان عليه واجبات ثقال: فهو مستأجر لأداء واجب محدد من تعليم أبناء المسلمين(١٣٨)، فعليه أن يفرغ نفسه لذلك؛ خاصة فى الأوقات المحددة للتعليم، فلا يحل للمعلم أن يشتغل عن الصبيان(١٣٩)، بل هو دائم التفقد لهم، والنظر فى أمرهم، وهو فى استقبالهم عند انقلابهم، يتعاهدهم بنفسه، ويخبر أولياءهم إن لم يجيؤوا (١٤٠)، وهو حريص على وقتهم فلا يأذن لهم إلا فى الأعياد وعند الضروريات، وذلك بعد إعلام آبائهم(١٤١). وعلى ما يبدو فإن نفس هذه الواجبات التزم بها المعلمون فى الدولة الرستمية التزامًا تطوعيًا للتمكين لمذهبهم الدينى ونشر فكرهم والمحافظة على دولتهم الناشئة، وهذه الواجبات جعلت المعلم – فى الدولتين –ينال التقدير والاحترام؛ خاصة أنه يعلم القرآن ولغته(١٤٢).

ويبدو أن الكتاتيب الكبيرة – فى الدولتين – كانت تستوجب أن

---

(١٣٦) آداب المعلمين، ٩٦:٩٤.

(١٣٧) نفسه، ٩٤.

(١٣٨).نفسه، ١٢٩: ١٣٠.

(١٣٩).نفسه، ٩٨، ١٠٠.

(١٤٠).نفسه، ٩٧.

(١٤١).نفسه، ٩٧،٩٥.

(142) Marcais, W., Comment L′ Afrique Du Nord a ete Arabisee,p.15

يستأجر المعلم من يعينه على عملية التدريس شريطة أن يكون فى مثل كفايته(١٤٣)، وبالتالى قد يوجد معلمان فى الكُتاب(١٤٤).

والغالب أن وسيلة التأديب لدى المعلمين فى الدولتين تشابهت إلى حد كبير فكانت الدرة والفلقة(١٤٥)، وهما أداتان للتأديب قديمتان على ما يبدو، وكانتا تستخدمان فى كتاتيب القرى فى ريف مصر حتى فترة قريبة وربما حتى الآن. إلا أن المعلم غير مطلق اليد فى العقاب فقد حدد بعض الفقهاء ألا يجاوز المعلم أدبه ثلاثًا على قراءة القرآن، ويؤدبهم على اللعب والبطالة ولا يجاوز بالأدب عشرة (١٤٦). وعلى الرغم من أن هذه الوسائل التأديبية قد تجدى مع البعض، إلا أن بعض الطلبة كان "لا يؤدبه إلا المدح، ولطيف الكلام، وليس هو ممن يؤدب بالضرب والتعنيف"(١٤٧)، ومن ثم فلم تكن القاعدة هى العقاب، فالمعلم قد ينوع فى أساليبه لحث الطالب على الاجتهاد والدرس، والازدهار العلمى والثقافى الذى شهدته الدولة الأغلبية والرستمية يؤكد أن المعلمين اتبعوا الطريقة المثلى فى توجيه النشء.

وليست لدينا معلومات وافرة عن أسلوب المعلم فى الكُتاب فى الدولة الرستمية لكن قياسًا على التشابه الشديد بين الكُتاب فى الدولة الرستمية والأغلبية نستطيع القول أن المعلم كان يخصص أيامًا للمواد التى يُدرسها، فهو مثلًا يعرض ما حفظه الطلبة طوال الأسبوع فى وقت معلوم مثل يوم

---

(١٤٣) محمد بن سحنون: آداب المعلمين، ٩٨.

(١٤٤) حسن حسنى عبد الوهاب: مقدمة تحقيق آداب المعلمين، ٤٦.

(١٤٥) نفسه، ١٠٣. والدِرَّة: سوط يضرب به، أما الفَلَقَة: عصا غليظة يوصل بطرفيها حبل، توثقُ بهما قدما التلميذ للجلد عقابًا له على ما يرتكبه من خطاءٍ. انظر: معجم اللغة العربية المعاصر، ومعجم المعانى الجامع.

(١٤٦) محمد بن سحنون: المصدر السابق، ٨٩:٩٠.

(١٤٧) انظر: المالكى؛ حـ ١، ٣٤٥؛ الدباغ، حـ ٢، ١٢٤.

الخميس، أو عشية الأربعاء، ويأذن للطلبة فى يوم الجمعة [١٤٨]، ولا ينقل الطلبة من سورة إلى سورة حتى يحفظوها بإعرابها وكتابتها[١٤٩].

ولم تكن مهنة التعليم قاصرة على الرجال فى الدولة الرستمية، فقد شاركت المرأة كمعلمة خاصة فى المناطق النائية وإن كان ذلك كمتطوعة [١٥٠]، ولربما أستعان بها الأغنياء وأهل الفضل فى الحضر لتعليم بناتهم، لأن المرأة المُعلمة من السهولة دخولها بيوت الأسر وتعليم كرياتها. ورغم عدم وجود نصوص صريحة حول مشاركة المرأة كمعلمة للنشء فى الدولة الأغلبية إلا إن وجود عالمات مسلمات فى المجتمع الأغلبى[١٥١] يشى بوجود المرأة كمعلمة أسوة بأختها الرستمية.

أما عن دور العلماء فى المراحل الأعلى فى التعليم فقد تشابه لحد كبير فى الدولتين مع استثناء المواد التى يدرسونها، ففى الدولة الرستمية كان العلماء يعقدون مجالس العلم سواء فى بيوتهم أو فى المساجد، وكانت المجالس عبارة عن حلقات علمية يشرح فيها العالم كتابًا من العلم فى أحد فنونه[١٥٢]، ويقوم الطلبة بالقراءة عليه، ويقوم هو بالتصحيح والتعليق إن اقتضى الأمر[١٥٣] حتى يجيز الطالب فيها. وأحيانا كان العالم يلقى بالمسائل على طلاب العلم، فتدور النقاشات حولها[١٥٤].

وفى الدولة الأغلبية كان العلماء يعقدون مجالسهم فى المساجد بالطريقة

---

(١٤٨) محمد بن سحنون، ١٠٤.

(١٤٩) نفسه، ١٠٦.

(١٥٠) الشماخى، ١٢٦.

(١٥١) عياض: ترتيب المدارك، حـ ٤، ٦٢؛ الدباغ: المعالم، حـ ٢، ٨٦.

(١٥٢) ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، ٤٦.

(١٥٣) نفسه.

(١٥٤) انظر: الشماخى، ٨٠.

التى تحدثنا بها عن الرستميين، وأحيانًا فى بيوتهم الخاصة، والمثال الواضح لها (مجلس الإمام سحنون) فقد كان مجلس سحنون الرئيسى لتعليم الناس فى بيته(١٥٥)، وقد رسم المالكى فى رياضه صورة كاملة لمجلس سحنون هذا وأسلوبه فى التعليم، فقد كان يعقد مجلسه كما تقدم فى بيته الذى يجتمع حوله طلبة العلم، ويدخل عليهم والكتب بين يديه يقرأ منها على الطلبة، وأحيانًا كان أحد الطلبة يقرأ على الشيخ والشيخ يعلق ويُصحح، بل وينفعل لما يُقرأ عليه "وكانت إذا قرئت عليه، مغازى الجهاد لابن وهب أو "كتاب الزهد" بكى حتى تسيل دموعه على لحيته"(١٥٦).

ورغم التشابه الكبير بين مجالس العلم فى الدولتين إلا أن الرستميين فاقوا غيرهم بميزة وهى حضور النساء بكثافة ملفتة فى مجالس العلم، فقد خصص لهن مكان خاص فى تلك المجالس، وكانت المرأة تخرج من قرية لآخرى بغية حضور مجالس كبار علماء المذهب الإباضى(١٥٧). ولقد تميز الرستميون – فوق هذا - بمشاركة الأئمة وأبنائهم فى القيام بدور المعلم سواء بما يخص التعليم الأساسى أو العالى – على نحو ما قدمنا -.

هذا وقد عُرفت الإجازة العلمية من قبل العلماء لطلابهم فى الدولتين ففى الدولة الرستمية كانت أحيانًا تكون بتوجيه الأستاذ لتلميذه فى التخصص فى أحد فنون العلم، وأحيانًا تحريرية (١٥٨) وفى الدولة الأغلبية عُرفت الإجازة الشفاهية والإجازة المحررة(١٥٩).

---

(١٥٥) المالكى: الرياض،١: ٢٥٩.

(١٥٦) نفسه، ٢٦٥، ٢٦٧، القاضى عياض: ترتيب المدارك، ٤: ٧٧.

(١٥٧) انظر: الشماخى، ١٢٩، ١٣٩.

(١٥٨) نفسه، ٢٤، ٥٠، ٥١.

(١٥٩) الخشنى: طبقات علماء إفريقية، ١٦٥؛ المالكى: الرياض، حـ١، ص ٢٦٧.

أما عن المتعلمين فى الدولة الرستمية، فلقد لاحظنا إقبالًا شديدًا منهم على تلقى العلم سواء فى الكتاتيب أو المدارس الأولية، وكان الصبية يحرصون على حفظ ما كتب لهم فى اللوح خاصة القرآن(١٦٠). ووجدنا تزاحم طلبة العلم الكبارعلى المجالس خاصة تلك التى يحاضر فيها الأئمة(١٦١)، وقد كان الطلبة يحرصون على تدوين ما يستمعون إليه من مشايخهم، وكان المشايخ يحضونهم على ذلك (١٦٢).

وفى الدولة الأغلبية وجدنا نفس الاهتمام من قبل الصبية بتحصيل العلم، وكان الطلبة وأهاليهم يحتفلون بمناسبة ختم القرآن فعلى الرغم من اعتراض بعض الفقهاء إلا أن الكثير من أهالى الطلبة كان يحتفل بشكلٍ صاخب بمناسبة ختم أبنائهم القرآن الكريم، فكانت الفاكهة يُرمَى بها على الناس فى مظهر احتفالى(١٦٣). أما عن طلاب العلم الكبار فقد كانوا يتوافدون على مجالس العلم فى المساجد وغيرها بأعداد كبيرة، وهم يحملون معهم المحابر والدفاتر ويسجلون ما يدرس لهم من فنون العلم (١٦٤).

وقد رصدت كتب السير الإباضية نماذج مشرفة لطلبة العلم فى الدولة الرستمية، فمنهم من كان يسير على قدميه المسافات البعيدة من قريته إلى القرية التى يُحاضر فيها شيخه طلبًا للعلم والمعرفة(١٦٥)، ومنهم من يحرص على أن يسبق أستاذه إلى المسجد تقديرًا لعلمه ومكانته(١٦٦)، ومنهم من تحايل

---

(١٦٠) الشماخى، ٤٨.

(١٦١) الدرجينى، حـ ١، ص٧٧؛ الشماخى، ١٠٧.

(١٦٢) نفسه، ص ١٦١.

(١٦٣) محمد بن سحنون: المصدر السابق، ٩٩.

(١٦٤) المالكى، حـ ١، ٢٧١.

(١٦٥) الشماخى، ١٦١.

(١٦٦) نفسه.

من أجل نسخ كُتب العلم المهمة كعمروس بن فتح المساكنى (ت ٢٨٣هـ/٨٩٦م) الذى انتسخ مدونة أبى غانم بشر بن غانم الخراسانى فى الفقه والتى رواها عن تلامذة أبى عبيدة، وكانت أخته تملى عليه، وهو يكتب إلى أن نسخها، وكان أبو غانم اجتاز على جبل نفوسة فاستودع عمروس مدونته وذلك فى طريقه لتاهرت، فلما عاد وجد عمروس قد نسخها، وكانت المدونة فى اثنى عشر جزءًا، فانتسخها عمروس كمرجع مهم لأهل الدعوة الإباضية فى المغرب(١٦٧).

ونفس هذا التحمس لطلب العلم وجدناه فى المجتمع الأغلبى فقد كان طلبة العلم يتنقلون بين مجالس العلم فى المدن والقرى المختلفة؛ طلبًا للعلم والمعرفة(١٦٨)، وكان بعضهم يذهب من مدينة إلى أخرى داخل الدولة الأغلبية "للاستفتاء والمسألة" (١٦٩).

ولقد اهتم طلبة العلم فى الدولتين بالرحلة فى طلب العلم سواء رحلة داخلية أو خارجية نحو الشرق – على نحو ما تقدم –.

إذن: تشابه وضع المعلم فى الدولتين وكذلك العلماء مع استثناء الاختلافات المذهبية، وفاق الرستميون الأغالبة فى حضور النساء مجالس العلم وقيام الأئمة بعملية التعليم بأنفسهم. وحرص المتعلمون فى الدولتين على العلم وطلبه فى الداخل وكذلك عن طريق الرحلة للشرق.

---

(١٦٧) انظر: الدرجينى، ٢: ٣٢٣؛ الشماخى، ١٥١. ١٥٢.

(١٦٨) المالكى،حـ١، ٢٥٤.

(١٦٩) ابن فرحون (إبراهيم بن على بن محمد بن فرحون المتوفى ٧٩٩هـ): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، بيروت – دار الكتب العلمية، د.ت، ١٩٢؛ المالكى، ٢٥٤ .٢٥٥.

رابعًا- أمكنة التعلم والمواد الدراسية:

أما عن أمكنة التعليم فلقد تشابهت فى الدولتين من كتاتيب، ومساجد، ودور علماء، وبيوت، وقصور الأمراء والأئمة، وإن تميز الأغالبة بوجود أماكن للتعلم فى الأربطة المنتشرة على البحر المتوسط.

أما عن الكتاب فهو كما يصفه الأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب: عبارة عن بُناية بسيطة على هيئة البيت المربع أو المستطيل، مفروش بحصر بلدية عادية يجلس عليها الصبيان متربّعين حول المعلم الذى يُختص بسرير أو كرسى مرتفع، وربما عوض الكرسى بمصطبة مبنية "دكانة" ليس عليها سوى بساط بسيط(١٧٠)، وقد انتشرت الكتاتيب بشكل ملحوظ فى نواحى الدولة الأغلبية وكذلك الرستمية، وإن تميز الرستميون بوجود مدارس أولية تخصصت فقط فى تعليم القرآن الكريم(١٧١).

وإذا تحدثنا عن المواد الدراسية فى الكتاتيب نجد مثلًا فى الدولة الأغلبية أنها تمحورت حول مواد واجبة: مثل القرآن الكريم، والهجاء، والكتب، والقراءة، واشتُرط عدم تعليم النشء ألحان القرآن؛ لأن مالكًا قال: لا يجوز أن يقرأ القرآن بالألحان(١٧٢)، وهنا يبدو التأثير الشديد للمذهب المالكى على التعليم فى ولاية إفريقية.

أما عن العلوم غير الواجبة إلا أن يشترطها ولى أمر الطالب أو يتطوع بها المعلم فهى عديدة مثل: الحساب، الشعر، والعربية، والخط، وجميع النحو، ولا بأس أن يعلمهم الخُطَب إن أرادوا(١٧٣).

---

(١٧٠) مقدمة تحقيق كتاب آداب المعلمين، ٥٥.

(١٧١) الشماخى، ٤٨.

(١٧٢) محمد بن سحنون: آداب المعلمين، ١٠٠؛ ١٠٢؛ ١٠٤؛ ١٠٥.

(١٧٣) نفسه، ١٠٢؛ ١٠٤.

وبخصوص المواد التى تُدرس فى الكتاتيب فى الدولة الرستمية فكان على رأسها القرآن(١٧٤)، مع تلقين الصبية المبادئ العامة للمذهب – فى الغالب–، ويُفهم من تفوق الإباضية فى عدة علوم من تفسير وفقه وعلم كلام، ومناظرات، وفلك وحساب(١٧٥)، أن الكتاتيب لم تقتصر فقط على القرآن، بل ضمت أيضًا الحساب، وبالضرورة اللغة العربية والنحو؛ حتى يتسنى تعليم أبناء البربر، وتعويد الطلبة الاطلاع على كُتب العلم التى كانت فى الأساس باللغة العربية. ولا مانع – أبدًا - مع كثرة العرب بين الإباضية، وكثرة من تدفق من ولاية إفريقية أن تكون نفس المواد التى تُدرس للنشء فى الدولة الأغلبية هى نفسها التى تُدرس فى الدولة الرستمية، مع تلقين المذهب الإباضى، والبعد عما يسىء للمذهب.

وبذلك نستطيع القول: أن الكُتاب قام بدور متشابه فى الدولتين الأغلبية والرستمية وتشابهت مواد التدريس فيه إلى حدٍ كبير.

وكما قدمنا وجدت مجالس العلم فى ساحات المساجد المنتشرة فى الدولتين، وحاضر هنا وهناك العلماء، وإن تميز الرستميون بمشاركة الأئمة فى العملية التعليمية، وإلى جوار ذلك اعتُبرت قصور الأمراء وبيوت الأئمة أماكن تعليم نشطة؛ فالأئمة الرستميون كانت بيوتهم مراكز علمية يتعلم فيها أبناؤهم وبناتهم وربما من قصدهم من طلاب العلم. وقصور الأمراء الأغالبة، عُلم فيها أبناؤهم وبناتهم، وقصدهم أهل العلم بفنونه المختلفة؛ فاستفاد منهم من حضر مجالسهم ومن سمع بها.

---

(١٧٤) الشماخى، ٤٨.

(١٧٥) انظر: الدرجينى، ١: ٦٠: ٦٢؛ الشماخى، ٧٠: ٧١؛ ١٠٧.

أما عن المواد الدراسية التى تُدرس لطلاب العلم فى الدولتين فى مثل هذه المجالس فقد تباينت وبشدة خاصة منذ المرحلة الثانوية وما يليها من تعليم عالٍ، فبينما دُرس فى **الدولة الأغلبية** كُتب كبار أئمة السنة مثل: الموطأ، وجامع سفيان الثورى(١٧٦)، وكتب أبى حنيفة(١٧٧)، وكتب ابن القاسم ومسأله عن مالك، وأسدية أسد ابن الفرات(١٧٨)، ومدونة سحنون بن سعيد(١٧٩)، وتفسير ابن سلام(١٨٠)، وربما بعض كتب المعتزلة(١٨١)وهم من أهل السنة أيضًا.. أقول: بينما دُرست هذه الكتب فى الدولة الأغلبية طغت الكتب الخاصة بالمذهب الخارجى فى لونه الإباضى على المجتمع الرستمى فدُرست كتب مثل: كتاب الخليل الصالح(١٨٢)، وديوان جابر(١٨٣)، وكتب

---

(١٧٦) المالكى: رياض النفوس، حـ١، ص ١٥٨.

(١٧٧) نفسه، ص ١١٣؛ الدباغ، حـ١، ص ٢٣٩؛ عياض: المدارك، حـ٣، ص ١٠٢.

(١٧٨)انظر: المالكى، ص ١٧٨ – ١٧٩، الذهبى، حـ١٠، ص ٢٢٦، ابن خلدون " عبد الرحمن بن خلدون المغربى " (ت ٨٠٨هـ): المقدمة،الإسكندرية، د.ت، ص ٣١٥ – ٣١٦، ابن الأثير: " أبو المحاسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم " (ت ٦٣٠ هـ): الكامل في التاريخ، بيروت ، ١٩٨٣م، حـ٥، ص ١٨٦.

(١٧٩)المالكى، حـ١، ص ١٨١؛ ابن خلكان " أبو العباس ، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان " (ت ٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأبناء الزمان ، عدة أجزاء ، تحقيق ، محمد محى الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٤٨م، حـ٢، ص ٣٥٣.

(١٨٠) الداوودى: " شمس الدين محمد بن على بن أحمد " (ت ٩٤٥هـ): طبقات المفسرين، بيروت، ١٩٨٣م، حـ٢، ٣٧١ -٣٧٢.

(١٨١)المدارك، ٤: ٦٠، وقارن: المالكى، ١: ٢٧٦، الدباغ، ٢: ٨٧، ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة ، القاهرة – مكتبة مدبولى ، ١٩٨٨م، ٥٨.

(١٨٢)الشماخى: المصدر السابق، ١٥٩-١٦٠.

(١٨٣)نفسه، ١٣٤، وقد أفاض الدرجينى، (١:٨٠ . ٨٢) فى ذكر أخبار حمل ديوان "جابر بن زيد" للمغرب، وجابر بن زيد هو أول من نقل عنه المذهب الإباضى ويبدو أن ديوانه هذا مجموع الأحاديث والآثار المروية عن الصحابة على الطريقة الأولى التى انتهجتها كتب الحديث، وتوفى سنة ٩٦هـ. (راجع: حاشية، الدرجينى، ١:٨١، حاشية١).

عمروس بن فتح فى الفروع والعقائد(١٨٤)، وكتب الرد على المخالفين(١٨٥)، وكتاب مسائل نفوسة الجبل للإمام عبد الوهاب(١٨٦)، ومدونة أبى غانم بشر بن غانم الخراسانى فى الفقه والتى رواها عن تلامذة أبى عبيدة(١٨٧)، وكل هذه الكتب خاصة بالمذهب الإباضى.

ولو أحببنا أن نلقى الضوء على نموذج من هذه الكتب، نجد كتاب مسائل نفوسة الجبل للإمام عبد الوهاب ١٦٨ – ١٩٨ هـ من الكتب المهمة التى دُرست لدى الرستميين، والكتاب عبارة عن ردود للإمام حول العديد من المسائل التى كتبت بها نفوسة إليه مما أشكل عليها، وهذا الكتاب في أيدى الإباضية مشهورًا عندهم معلوم يتداولونه قرنًا عن قرن(١٨٨). ويرى البعض أنَّ هذا الكتاب كان أساسًا للمدرسة الإباضية الرستمية(١٨٩). ويبدو أنه موطأ بسيط ووافٍ لأمور العقيدة ومسائل الصلاة.

أما عند الأغالبة فلقد انتشر كتابى الأسدية، والمدونة، أما عن الأسدية فهى نسبة لأسد بن الفرات (ت ٢١٣هـ) وهى مصنفة فى الفقه على مذهب مالك وهى عبارة عن أجوبه عبد الرحمن بن القاسم الفقيه المالكى على ما سأله عنه أسد مبوبة على أبواب الفقه، وقد أجاب فيها عبد الرحمن بن القاسم بقول مالك وكان أحيانًا يجتهد من عنده، وقد جمع ذلك كله أسد فى كتابه

(١٨٤)انظر: نفسه، ٢:٣٢٠ – ٣٢٤؛ الشماخى، ١٤٨: ١٥٤؛ ولعمروس ترجمة فى:الوسيانى (أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان المتوفى ٤١٨ هـ): كتاب السير "سيرة أبى الربيع" مخطوط بدار الكتب، رقم ٩١١٣، ورقة ٣: ٤.

(١٨٥) انظر: الدرجينى، حـ ١، ص ٥٧: ٦٢.

(١٨٦) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص ١٧.

(١٨٧)الدرجينى، حـ ٢، ص ٣٢٣؛ الشماخى، ص ١٥١: ١٥٢.

(١٨٨)ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص ١٧

(١٨٩)انظر: محمد بن تاويت التطونى: دولة الرستميين أصحاب تاهرت، صحفية معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد الخامس، ١٩٥٧م، العدد ١-٢، ١١٨.

وأضاف إليه وسمى الكتاب "الأسدية"(١٩٠) وقد سمعها من أسد خلق عظيم من طلاب العلم(١٩١). أما المدونة فلما كان أسد يميل للرأى والفكر لأخذه على أصحاب أبى حنيفه ، فقد ارتحل بعد قدومه للقيروان أحد المتحمسين للمذهب المالكى وهو سحنون بن سعيد التنوخى (١٩٢)، وأخذ العلم على علماء الشرق (١٩٣)، وعرض الأسدية على ابن القاسم فى مصر وسمع منه علم مالك وتفقه فيه وأجاد، ودون كل ذلك فى كتابه "المدونة" التى هى على غرار "الأسدية" مع بعض الإصلاحات التى أشار بها ابن القاسم ومع إسقاط المسائل التى فى نسبتها لمالك شك من نحو قوله "وأظن مالكًا قال فى هذه المسألة كذا وكذا وأخال مالكًا قال كذا وكذا"(١٩٤)، وقد رتبها سحنون ترتيبًا جيدًا وبوبها ، "واحتج لبعض مسائلها بالآثار من روايته من موطأ ابن وهب وغيره" (١٩٥)، ولما عاد سحنون للقيروان عام ١٩١ هـ نشر المدونة "وسمعها عليه أهل المغرب، وانتشر ذكرها فى الآفاق، وعول الناس عليها وأعرضوا عن الأسدية" (١٩٦).

وبذلك وجهت المناهج الدراسية لخدمة الأهداف المذهبية فى الدولتين، لكن يحمد لهذه المناهج مجتمعة اعتدالها وهو ما ميز أهل السنة،

---

(١٩٠)انظر: المالكى، ص ١٧٨ – ١٧٩، الذهبى، حـ ١٠، ص ٢٢٦، ابن خلدون: المقدمة، ص ٣١٥ – ٣١٦، ابن الأثير: الكامل، حـ٥، ص ١٨٦

(١٩١)المالكى، ص ١٧٣.

(١٩٢) يقول أبو العرب " وكان خروجه فى طلب العلم أول سنة ثمان وثمانين ومائة، وكان قدومه إفريقية سنة إحدى وتسعين ومائة "طبقات علماء إفريقية، ص ١٨٥.

(١٩٣) عياض: المدارك، حـ ٤، ص٤٧.

(١٩٤) المالكى، ص ١٨٠ .

(١٩٥) ابن خلكان، حـ٢، ص ٣٥٣.

(١٩٦) المالكى، ص ١٨١ .

والإباضية أقرب فرق الخوارج من أهل السنة[١٩٧]، ولا شك أنه وجد مشترك بينهما فى المناهج الدراسية؛ فكتب التفسير مثلًا اعتمدت على المأثور من أقوال النبى والصحابة، وهذا وجد لا شك فى تفسير ابن سلام عند الأغالبة[١٩٨] وتفسير أبى المنيب محمد بن يانس – من علماء الطبقة الثانية – عند الرستميين[١٩٩]، وكذلك كتب النحو واللغة – فى الغالب تشابهت لدى الطرفين –.

ولا شك أنه إلى جانب ما تقدم من كتب مذهبية وجدت كتب متخصصة هنا وهناك فى علم الكلام الذى وجد عند المعتزلة فى دولة الأغالبة[٢٠٠] وعرفه الرستميون للرد على المخالفين[٢٠١]، كذلك كان هناك كتب ذات صبغة علمية فى الحساب والفلك وربما غير ذلك من علوم، والتى انتشرت بشكل خاص عند الرستميين.

وبذلك يمكن القول: أن المواد الدراسية تشابهت إلى حدٍ كبير فى مرحلة تعليم النشء، وأنها تمايزت بعد ذلك فى مراحل التعليم الأعلى التى تلونت بالطابع المذهبى، وإن وجدت مواد مشتركة عند الطرفين.

---

(١٩٧) انظر: ابن حزم " أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي " (ت ٤٥٦هـ): الفصل فى الملل والأهواء والنحل، بيروت ، ١٩٨٥م، حـ ٢، ص ٢٦٦.

(١٩٨) انظر: ابن سلام " يحيى بن سلام بن أبى ثعلبة التيمى البصرى الإفريقى " (ت ٢٠٠ هـ): تفسير ابن سلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ورمز ، ٢٤٨٣١ ، ب؛ محمد عبد القادر أحمد: المكتبة التونسية وعنايتها بالمخطوط العربى ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المجلد ١٧ ، الجامعة العربية ، مايو ١٩٧١م، حـ ١، ص ١٧٩.

(١٩٩) الشماخى، ص ٧٥، ٧٩،٧٧.

(٢٠٠)المدارك، ٤: ٦٠، وقارن: المالكى، ١: ٢٧٦، الدباغ، ٢: ٨٧، ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة، ٥٨.

(٢٠١)الدرجينى، حـ ١، ص ٦٢:٥٧.

خلاصة القول: وجد تعليم نشط لدى الأغالبة والرستميين، وإن ظهر التوجه المذهبى بين الدولتين، وكان للرستميين سياسة تعليمية شاركوا فى تنفيذها، بينما كان دور الأغالبة تشجيعى لسياسة علماء السنة. ولقد تشابهت مراحل التعليم فى الدولتين، وكان للبنات نصيب من التعليم هنا وهناك، وإن كانت مساحة الحرية فى التنقل لطلب العلم أكبر عند المرأة الرستمية. ووجدت الرحلة فى طلب العلم هنا وهناك لكن تميز الأغالبة بالرحلات الوافدة إليهم من الأندلس. ولقد غلب على المواد الدراسية خاصة فى التعليم العالى الكتب المذهبية لدى الطرفين وإن وجدت كتب مشتركة بينهما.